رواية
دينية
الباحث
في القارات الخمس
- قُبّي عبدالله -

الباب الأوّل 33

الفصل الأوّل 40

الفصل الثاني 69

الفصل الثالث 94

الفصل الرابع 124

الفصل الخامس 149

الخاتمة..... 161

البـــاحث

في

القارات الخمس

رواية

-قـبّي عبـداللّـــــه-

هل لتأخّرك هذا مبرر؟

انتظرتك كثيرا..

لست أنا من يلومك على التأخير..

إنّه ذلك الشخص الذي ساعدني

في إعطاء المعلومات..

لم تعرفه.. أعلم

ستعرفه بعد قليل..

اقلب الصفحات قبل أن تتحجّر الأوراق

فهناك من لا يريدك أن تقرأ هذا الكتاب

سأسألك سؤالا عزيزي القارئ قبل أن تبدأ في الرواية ..

أنت..

هل بحثت عن شيء من قبل ؟

لا أقصد الحب أيّها الأبله..

دعك من الحب، أقصد شيئا أكثر

أهمية

إليك ما سيبحث عنه شاب مسيحي

أصبح من العظماء..

إن كنت مسلما فأنت محظوظ..

احمد الله على نعمة الإسلام..

يقول ماثيو:

" لا يمكن للبقرة أن تتحكمّ في الوجود، لكن يمكنها أن تحْلِبْ "

معتقدات غريبة...

قوانين أكثر غرابة..

قارات متفرّقة..

كانت قارة واحدة قبل مليارات القرون..

سكانها تائهون..جاهلون

أمّا الآن. تعددت الأديان

وهناك دينٌ واحد صحيح..

فيه السلام..الراحة..إعجاز..الطمأنينة

العلم..الدليل..الكمال..الإخلاص

الصفاء..الكرامة..

فيه التاريخ ..

والكثير..والكثير..

أعلم أنّك تريد أن تقرأ،

لكن هذه المرّة سآخذك في رحلة شبه طويلة

حيث لن تقرأ، بل تعيش أحداث ما تقرأ..

رواية دينية

إهداء

إلى مدرستي ومديرها..أمّي وأبي.

إلى إخوتي وأختي وكلّ عائلتي الكرام.

إلى المحفّز ورفيق الكفاح الأوّل "إدريس حميان" وإلى جميع الأصدقاء.

إلى أوفى صديق لي..إلى الليل.

وإلى جميع الباحثين والمسلمين.

تنويه

الرواية مبنية على طابع خيالي
وأغلب الأحداث والقصص المحكيّة
في الرواية والأشخاص المذكورين بإنسها وجنّها حقيقية
ومنها العكس

وكل ما سيتم ذكره في الرواية يعبّر فقط عن رؤية صاحبها
من خلال مجهوده الذاتي في البحث
ولا يعبّر بالضرورة عمّا توصّل له العلم بشكل يقيني
ويبقى دور التحقق والتأكد والوصول للصواب مسؤولية كل
شخص، كما أنني تعاونت مع كتب ومصادر موثوقة.

الآن أنت بين أيدي الرواية، لا يهمّك من كتبها، شخصٌ من الإنس أو الجن .. المهم أنني تعمّقت في أبحاث كثيرة وعميقة جدا، من ناحية الدين والعلوم الدينية والفقهية.

لقد أمرني أن أذهب إلى غرفتي في الليل وأن يعطيني الكمّية الكبيرة من المعلومات والوثائق الدينية والتاريخية منذ خلق آدم عليه السلام إلى يومنا هذا من أجل معرفة الدين الصحيح التي قد وعدني بها، وكما أننا اشتركنا في بعض المعلومات.

كان اسمه " الأعور" من قبيلة " بنو غيلان " نعم أظنّه مرعب هذا الاسم، لأنه ليس اسم للبشر. بل هو اسم من الجن لقبيلة لهم القدرة على التشكل بأيّ هيئة يريدون، ويملكون قدرات خفيّة.

كان هو أوّل من بدأ الحديث بصوت مخيف يجعل قلبك مثل الصحراء الجافة فقال: أنت تعجبني كثيرا أيّها الشاب.. لم أرك نمت ليلة لم تطلب فيها علما.

- **فقلت خائفا: آآ نعم..نعم ، وماذا عن المعلومات ؟**
- **ستجدها في القجر**
- **حسنا.. شكرا**
- **لكن أريد أن أخبرك شيئا عليك الإنصات له، عليك أن تكتب هذه الرواية خفية.. وأن لا يعرف أحد بأنك تكتبها لأن أصحاب هذه المعلومات و الوثائق الدينية التي ربما ستدلّك على دينك الصحيح والكتاب المصدّق الأحق باتباعه من الإنس والجنّ سيبيدون ويتخلّصون لكل من له صلة بالمعلومات..منّي أنا ومنك ، ومن القارئ أيضا خاصّة..**

وبعد الأحاديث المتتالية المخيفة والمهددة لي وللقارئ.. ظهر فجأة وبدون أيّ صوت أو ضجّة جنٌ ضخمٌ لديه من السواد ما لديه و لديه من البياض أغلبه، وله قرنين طويلين نحو الأعلى ومعوجّين في الطرف الأعلى فكأنه تشابك مع الجنّ " الأعور "..فتقلّص جسدي، وروحي بين الصعود والنزول و نفسي ملهفة، ادخل من فمي شهيقا وزفيرا، وبدني بدا عليه بعض العرق الناتج عن الخوف الذي لم أشعر به من قبل في حياتي..

فالخوف تملّكني بشكلٍ لا يوصف..

فذاك " الأعور" يتحوّل تارة إلى أفعى، وتارة إلى طائر، وتارة أخرى إلى غول ضخم ترتعش له القلوب..، وذاك الأبيض يطير ويرسل من الشعاع ما يرسل هجوما و تلك قرونه كالنصال والسيوف والأغمدة تفتك من اقترب منها.. وأحاديثهم التي لا تفهم

تفتح بابا للموت كأنها باللغة السومرية.. ، والوثائق والمعلومات في القجر ساكنة..، لم أُرد النظر إليها خوفا أن يلمح " الأبيض" أمري فتكشف، وأنا في زاوية الغرفة متمسّكا بالحائط خائفا..، أردت الهروب والفرار منهم إلا أنني وجدت الباب مقفل..يا إلهي ماذا يحدث ..

و بعد صراع وتشابك طويل بينهما اختفى " الأبيض" من الغرفة.. وبدى على الجنّ " الأعور" الرغبة في المغادرة السريعة لكنّه قال:

- **كشف أمرنا الآن .. إما الهلاك وإمّا الهلاك، سنبيد جميعا..أنا و أنت ، ومن قرأ هذه المعلومات الصغيرة فقط..**

اذن سنبيد أيها القارئ..أخبرك الآن إن كنت خائفا فتوقّف وارمي الكتاب ، وهناك من في قلبه شغف كبير شرس يريد اكمال ما بدأ عليه..كلاكما ستبيدان لا محالة و انا معكم لا تجزعا..

لكن هناك أمل للنجاة ربّما.. وهو إكمال هذه الرواية ومعرفة الدين الصحيح الذي سيحميك من الهلاك والكتاب الذي سيكون مؤنسا لك..لا تجزع، إذا عرفته فطوبى لك النجاة و إذا كنت حائرا فيه لم تعرفه فسيأتي لك جماعة ملك الجنّ " الأبيض" و الإنس المشتركون معهم في تغطية أمور كثيرة في الديانات فيتخلّصون منك ومنّي أيضا ربّما.. هذا ما أخبرني به الأعور.. .

ومالجنّ هنا إلا ناقل لي معلومات وقصص دينية ربما لم تمر عليك من قبل وهي كافية لمعرفة دينك الصحيح وربك الصحيح و الكتاب الذي تتبعه..وبالتأكيد إذا لم تكن مسلم.

هناك أمل.. لا تجزع..

- **إليك الرواية أيها القارئ.. الذي ربّما ستبيد..**

- لقد خلق الله تعالى آدم أوّل مرة من طين فسوّاه رجلا، فنفخ فيه الروح، وميّزه عن باقي الكائنات الحيّة بالعقل الراجح، وأودع فيه من المواهب والقوى والقدرات، والقيام بالمهمّات، فكان أحسن من الحيوان والنبات، فعرف من التفّاحة الحلال والحرمات، وكانت معه حوّاء أفضل النساء والبنات، فتزوجها في إرض الجنّات، قال الله تعالى: وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ﴿٣٥ البقرة ﴾

فتكاثر النسلُ من بعده فكانوا خلفاء الأرض التي أنزله الله إليها، فكرّمهم الله وحملهم في البرّ والبحر، وفضلهم على كثير من خلقه وسخّر لهم من الطيبات ما تحتوي الأرض والسماوات

- ومنذ أن وجد الإنسانُ تعددت الأديان التي تعني وتوحي إلى طاعة المرء وخضوعه والتزامه لما يعتنقه من فكر ومبادئ، فأرسل الله تعالى الأنبياء والرّسل الذين خيّرهم الله واصطفاهم على العالمين بأن يكون خيرة الناس وأفضلهم خُلقا و أشدهم صبرا، قال تعالى: يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴿٣٥ الأعراف﴾

.. فظهر قوم نوح وقوم صالح وقوم لوط وشعيب وإبراهيم وصالح وعيسي ...
فظهرت ديانات لا أصل لها لبطش أقوام و أهالي الأنبياء، المسيحيّة واليهودية والبوذيّة والهندوسية والشيعة..الخ ، وظهر الإسلام الدين الحق.

ومنذ هذا الإختلاط في الديانات والإنسان في نفسه الرغبة الشرسة في معرفة دينه الصحيح، في معرفة ربّه الحقيقي، في معرفة أي الكتب المقدّسة أصدق بلا تحريف.
ومنذ ذلك الحين يظهر بعض الشباب الفضوليين التي تسيطر عليهم تلك الرغبة الشرسة في معرفة أي الدين أصدق وأحق .

وفي هذه الرواية يظهر شاب في مقتبل العمر تسيطر عليه تلك الرغبة الشرسة فيسيطر عليه الفضول لمعرفة دينه الصحيحمن خلال ظهور شيخ كبير يعطيه بعض الأسئلة المحيّرة .. فيتملّح على التنقل و الترحال قاصدا قارات العالم ودولها كلّه مستطلعا ومستكشفا في معرفة دينه المجهول، والبحث حول الخفيات، والتعرف على أسرارها، والإحاطة بشأنها، وتجارب لم تكن في الحسبان يمشي عليها، ومن مشقات طويلة تسدّ طريقه، وشخصيات منها ماهو كالورد يلتقيه ومنها ماهو كالشوك..

* * * * *

الباب الأول:

"كوكب ديبيتوم"

في كوكب غير كوكبنا وفي عالم غير عالمنا، هناك كوكب في درب الخيال، وهذا الكوكب يشبه نوعا ما كوكب الأرض.. كثيرا جدا، يسمّى كوكب " ديبيتوم" ، لكن فيه من خصائص الأرض ما فيه، يشبهه كثيرا، من سكّان.. من عقليات.. من ديانات..من كائنات حيّة..إلخ. يوجد في هذا العالم خمس قارات.. نعم خمس وليس سبع كما في عالم الأرض تتوزّع هذه القارات على البحار مثلها مثل قارات العالم الذي نحن فيه، لكن.. بالنسبة إلى اتساعها، ليست ثابتة كما هي ولا بالاستلاء على أراضي الغير، بل لديها خاصية هي حسب حجم السكّان وحسب الدّيانة ، فكلّ قارة ينضمّ إليها تابع جديد تزداد مساحتها، نعم..كلّما كان عدد السكان التابعين لتلك القارة كبير يزداد اتساع القارة إلى أن تغطّي كامل القارات.. كلّ شخص ينضمّ لقارة هي الانضمام الى دين معين فكلّ قارة تمتاز بديانتها، ومن خصائص هذا العالم هو أن موقع البلد حسب موقع القارة التي اتبع ديانتها، فمثل إسبانيا هي تقريبا مسيحية إذن تقع في قارة جيسوس خريستوس في شمال عالم ديبيتوم، وكان لكلّ قارة قوانينها على المتديّن إتّباعها..

أوّلا: قارة "جيسوس خريستوس" ، تقع في الجهة الشمالية من عالم ديبيتوم، وتنتسب إليها العديد من البلدان كإسبانيا والبرازيل والولايات م أ ، وهي القارة الأكبر بين جميع القارات، جميع سكّانها مسيحيون، وبما أنها الأكبر يعني أن المسيحيّة هي الديانة المسيطرة والكبيرة بين جميع الديانات ومن أشهر قوانين القارة هي معاقبة أي شخص يشكّ في المسيحيّة بالإعدام أي الموت..إلخ.

ثانيا: قارة "ساراتشي"، تقع في الجهة الشرقية من العالم، هي القارة الأكبر بعد قارة " جيسوس خريستوس "، جميع سكّانها مسلمون يعبدون الله الذي لا إلاه غيره، وبعض

بلدانها السعودية، المغرب الإسلامي وغيرها.. والّدين الإسلام هو الأكثر إنتشارا بعد المسيحيّة، وهي لا تضع أي قوانين، فمن شاء دخل الإسلام ومن أراد العكس فله ذلك، وأناسها طيّبون جدا..

ثالثا: قارة "هيندوويسموس"، تقع في جنوب غرب العالم، هي القارة الثالثة في اتساعها بعد القارتين السابقتين، و سكّانها يتّبعون الديانة الهندوسية وهي الديانة الثالثة التي يتبعها سكّان العالم والهند هي أكثر بلد فيها معروف مع بعض الدول..، ومن قوانينها " حرق كل من يتذمّر على الدين الهندوسي.."

رابعا: قارة " بوديسموس "، تقع في جنوب شرق العالم، هي القارة الرابعة بين القارات الرابعة من حيث اتساعها وسكّانها ، وتضمّ دين البوذيّون، ومن بلدانها كمبوديا و بعض من تايلاندا..الخ، ومن قوانينها أنهم يختارون كل خمس سنوات كاهنا لقطع رأسه تفدية للبوذا..

خامسا: قارة " جوداي " هي أصغر قارة بين جميع القارات، بعض الدويلات..سكّانها قليل ممّا يدل على قلّة إتباع ديانة اليهوديّين، وتقع في الجهة الغربية للعالم، ومن قوانينها ليست هناك حرّية في دخول المعابد وعدم وجود كتب التوراة في المنازل، ولا يمكنك الدخول في اليهودية إلّا إذا كانت أمّك يهودية.. .

*** * * * ***

قبل قرون كثيرة جدا..
بعيدة من هذا الزمان الذي تابع لتلك القرون أصلا، كانت هناك قارة واحدة في هذا العالم، أي انه كان دين واحد يمشون عليه وكانت تأخذ كل مساحة العالم، وهي قارة واحدة..

و في هذه القارة الوحيدة أو ما يدعونها بقارة رباعية الفصل، حيث الهدوء والسكون في مناطق ريفها الأخضر، وحيث المطر خفيف كالبكاء ينزل على أوراق الشجر الكبيرة فتحدث صوتا ترق له القلوب وتخشع له، والهواء النقيّ الذي لا شوائب فيه ولا غبار، إنه المكان الأنسبُ للحصول على الصفاء الذهني، لا توجد فيه أدخنة المصانع..والسيارات..والحافلات وغيرها، فهم يتنقّلون بالعربات والأحصنة.

.. الإنسان مغرمٌ بذلك الهدوء..
يُدخل الطمأنينة الباردة في القلب، والعصافير من غصن إلى غصن .. تولول وتصفّر، تبعث لك الشعور بالطيران معها، وكم أحدّثك عن حيواناتها من اغنام و بقر وخرفان وديوك و كلاب وغزلان.. هذه القارّة التي اذا نظرت إليها تزول همومك وأحزانك و آلامك..

لكن لحظة..
بمجرّد رؤيتك لأهلها يتغيّر كلّ شيء..
ستتغيّر نظرتك من ذلك الوصف النفسيّ الخلاب..
قارة مسالمة هي قارة .. فقط إذا خلت من سكانها هؤلاء الشرسون.. طباعهم الشنيعة

والقبيحة، وأفعالهم القذرة، بمجرّد رؤيتك إليهم تتغير نظرتك إلى ما رأيته.. تغيّر كلّ شيء.

وهي القارة الوحيدة في تلك الفترة، كانت تعرف السكون والأمن من قبل، وسكّانها كانوا يعيشون عيشة متخلّفة جدّا، ويأكلون ما يجدون وما طاب لهم، ويتّبعون أيّ أمر قيل لهم من شخص معظّم لهم، كانوا في غفلة من أمرهم، تائهين مهووسين بما حولهم من طعام، لا يعبدون أيّ آلهة، ولم يسمعوا بمعنى الآلهة من قبل أو ان يتخذوا ربّا..لأنهم معزولين بعض الشيء عن العالم والنّاس، وكانوا قليلي التنقّل والترحال..إلّا من كان تاجرا منهم، والرجال منجذبين للنساء بالمجن والصّراحة، والنّساء بلا حياء، يتملّكهم الافتخار الزائد و الغيرة المفرطة بينهم و تبرجّهم غير لائق وغير متوقع في كلّ ثانية ودقيقة، كان الفسق دليلهم و مرشدهم، والشباب يتّبعون ما يمشي به آباؤهم
والصغار على خُطى إخوانهم و آبائهم، وهكذا الحال في القارة.

ومن خصائص هذه القارة لديها على مدارها السنوي أربعة فصول، لهذا يسمّونها ب"أرض رباعية الفصل" لديهم الصيف والربيع و الشتاء والخريف..

اذا حلّ الصيف عندهم كانت قريتهم في طمع و حاجة و تغيّر حال وندرة مياه وماء وجفاف أبيار و منابع، فكان التّجّار يتزايدون في هذا الفصل في القرية سبيلا في قضاء حوائجهم والنجاة من الجفاف و الفلس، وكان التّجار في الصيف يستعملون العربات التي هي مركبهم في البر، وكانت القوارب الصغيرة هي سفنهم في البحر..

وكان إذا حل الشتاء فأنعموا من الخيرات ما أنعموا، وحلّت الأراضي الخضراء، وظهرت الثمار وأثمرت بأنواع شتّى وساد الخير في القرية و تدفّقت الوديان والمنابع والآبار تمتلئ، والثلوج والجليد يكتسي تقريبا نصف الجزيرة، وتتكاثر الحيوانات ومنها من تعود تناسبا لملائمة الجو كالطيور والغزلان، وكانت الأحصنة البرّية كثيرة اذا حلّ الشتاء فتكون مركب أهل القرية، وكانت مجرى قتال الفرسان والمقاتلين، وتستخدم في النزالات والمسابقات القتالية، والذئاب والأرانب والفقم والدببة، البيضاء منها والسوداء..

*** * * * ***

عندما رأى الله تعالى هذا الفسق العظيم والتخلّف الكبير، والهماج و القذارة في التّصرّفات واصرارهم على الفساد وبثّهم لأخلاق وصفات وإسرافهم لها في المعاصي والجهل، ما كان عليه إلاّ ان يرسل لهم نبيّا و رسولا يهديهم ويرشدهم من جهلهم إلى فطنتهم و يعبدون إلاههم الذي لا إلاه غيره الله، فأرسل لهم الأنبياء والرسل فنشأت البوذية من الفسق المتراكم و عدم الإيمان أوّلا، فغضب الله عليهم فأمدهم بالزلازل والعذاب فانقسمت منطقة من آمن بالبوذية التي كان قد أتى بها شاب يسمّى " سِدهارتا غوتاما" عن القارة الكبيرة التي كانت واحدة تشغل كلّ العالم وكنّوه بالبوذا أي المستنير، فادعى أنّه مرسول اليهم للتخلّص من الهندوس التي كانت ظهرت قبل البوذية وهكذا كلّما ظهر ديانة جديدة تنقسم القارات إلى أن صارت خمس قارات كما ذكرت، أي ظهرت خمس ديانات..فأتت اليهودية و المسيحية ودين الإسلام الصحيح..

في الحقيقة أن الأنبياء عندما أرسلهم الله تعالى أرسلهم ليبثّوا دين الإسلام لكن بعناد قومهم وطغيانهم ظهرت اليهودية والمسيحية التي تعتبر مصطلح مأخوذ من الإسلام، فالإسلام هي الخضوع والاستسلام لأمر الله تعالى وإنّ الدينَ الإسلامي هو الدّين الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين الموحّدين، فهو دينُ الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وبعث به كل الرسل ليُبلغوه للناس، ودعا له الرسلُ ونشروه في أرجاء المعمورة، فهو أصلُ رسالتهم الذي اتّحدوا عليه، وانطلقوا منه، فكان هو دينهم جميعاً، قال الله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ} [آل عمران: 19]. وقال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: 85]

فكلا الثلاث ديانات إبراهيمية وإنما هي مشروع بدأ الحديث عنه منذ فترة، أساسه العامل المشترك بين الديانات الثلاث، الإسلام والمسيحية واليهودية، باعتبارها أديان إبراهيمية، نسبة إلى النبي إبراهيم، و أمّا البوذية والهندوسية هي ديانات اعتقدها بشر ومن وساوس الشياطين بعبادة الأصنام وعيادة ما يعبدون..

*** * * * * ***

.

وبعد قرون عديدة، عديدة جدا..

وبعد ان كانت قد ظهرت القارات الخمس في عالم الرواية

" جيسوس خريستوس " في الشمال، " ساراتشي " في الشرق، " هيندوويسموس " في جنوب غرب العالم، " بوديسموس " في جنوب الشرق العالم ، " جوداي " في الجنوب..

وبعدما كانت القارات إذا زاد اشخاصها المنتسبين لها تتسع و كلّما نقصوا تنقص مساحتها كانت في هذه الفترة قارة " جيسوس خريستوس " صاحبة الديانة المسيحية هي الأكثر مساحة مما يدل أن المسيحية هي الأكثر انتشارا، وتليها قارة ساراتشي قارة الدين الإسلامي، وبعدها قارة هيندوويسموس، ثمّ قارة بوديسموس والأصغر قارة جوداي.

* * * * *

الفصل الأوّل

قارة جيسوس خريستوس

في قارة " جيسوس خريستوس " أو قارة " اليسوع المسيح" باللغة اللاتينية، ولد طفل اسمه " ماثيو" في مدينة إسبانيا، كان طفلا يافعا، جميلا رائعا، فطنا ويقظا وصبورا، ومتواضعا، شعره أسود قاتم أيضا متفرّق بعض الشيء وكبير، نظرته عذبة نفّاذة، كان أبوه مارتن يدعونه ب " الخاتم "، تعلّقه بالمسيحية يفوق الخيال، يتمسّك به كرئيس يتمسّك بالسلطة، كان أنانيا ومخادعا، من وجهه تدرك خطورة أخلاقه، كان وجهه مقشورا، وعينيه مدوّرتان بعض الشيء داخلتان صغيرتان، وشعره رطب طويل لديه القليل من الصلع في رأسه، جلده كان أبيضا بشريا، يخيف قليلا، وكان من سادة الكنائس والبابا الأصغر لها، وكانت من طموحاته أخذ منصب البابا الأعلى من صديقه المقرّب "أوليفر"، وأمّا زوجة مارتن ووالدة ماثيو فكان اسمها" كلارا "، كانت متفائلة بالخير دائما، كما أنّها طالت مدّتها لإنجاب ولدها ماثيو، وجهها جميل كالأماني، رقيق كأوراق الورد، مشرق كالضحى، وشعرها أسود ناعم، وأنفاسها كمطر تشتاقه الروح، وصوتها كنغم من السماء، وبسمة يخشع لها القلب، نظراتها كوتَر الجيتار الناعم الحنون، وصوتها

كاللحن الهادئ الذي ينساب في خفوت، ساقها ملتفة عبلة، وجسمها ممشوق سمهري، كانوا يدعونها ب "سيلفيا" ومعناها الوردة النادرة، وذلك لحسن جمالها

لاحظ ماثيو عندما كان صغيرا تعلّق والده الشديد للكنائس وحبّه لها، فماثيو كان صغيرا لا يشغل في أمر العبادات وغيرها..

كبر ماثيو..

وكان والده يعلّمه الذهاب إلى الكنائس دوما إلّا أنه كان يكره هذا الأمر، لكن مع الوقت بدأ يعتاد على أمر والده ولكن أغلب المرّات يخالف رأيه.
فكان يختار تربية الأغنام بدل التعمّق في أمور والده تلك، فيجوب معها السهول والجبال والحشائش والمسطّحات ويغنّي لها ويحدّثها ثابتا أنها تفهمه لعشرتهم وصحبتهم الطويلة، فمنذ صغره وهو يخرج بهم مع عمّه راعيا بالأغنام، فلمّا توفي أخذها وورثها عنه والد ماثيو الذي لا يعير لها اهتماما أبدا فأراد بيعها إلّا أن ماثيو أصرّ على بقائها وعدم بيعها قائلا أنه من سيتكفّل بها، فكان يقرأ لها الكتب والقصص التي ترقدها ليلا، ويعبّر لها وتعبّر له عن الطبيعة، فكلاهما عاشقان لها..

كان يعتني بها كثيرا ويعطي لها الغذاء والماء التي هي ما تحتاجه فقط، وكانت لديه غنمٌ كان يحبّها كثيرا لأنها كانت قد ولدت في أحد عيد ميلاده فكان يفضّلها عن البقية، فكتب فوق قدمها اليسرى اسم "بيرلي" وتعني "الحجر الكريم" لكنّه قصد في ذلك الموضع "الخروف الكريم"، خوفا من ضياعها وكي يسهل إيجادها، ألا وكان يبيتها في مزرعة عمّه الكبيرة في أعلى أحد الجبال، هو ليس جبل كما تعتقد لكن يعتبر كذلك لكبر هضبته، كانت تلك المنطقة خضراء ورائعة بها قاعة للأغنام حيث مكانها ومرقدها كي لا تهرب..

* * * * * *

في جوّ خريفيّ رائع توجّه ماثيو إلى بيت صديقه وهو في العشرينات من عمره قاصدان كنيسة المدينة وذلك لممارسة تلك الطقوس الخاصة بدينهم التي تعتبر قذرة جدا للصلاة وهي ليست محددة، ويعتقدون أن روح الإله تجسّدت في إنسان اسمه عيسى

(نبي الله عيسى)، وإنّ الله يتمثّل في إلاه وهذا لا يعني أنّ هناك ثلاثة آلهة، بل يعني أنّ الله في ثلاث :

الأب، الابن والروح القدس، وهنا يقصد بالابن أنّه عيسى المسيح، هو الوحي الإلهي ورسالة الله للبشر، وصلاتهم في هذه المسيحية قد تكون فردية أو جماعية، حيث ليس لديهم عدد محدد من الصلاة، في أيّ وقت شاءوا، ولا يوجد عندهم طرق محددة كي تصلّي، كغسل اليدين أو الوضوء أو غيرها..

وفي زقاق المدينة بينما هو متجه لصديقه في ذلك الجوّ الخريفي التقى شيخا كبيرا ممسكا بلحيته البيضاء وكذلك شعره، جالسا على كراسي تحسبها من وقت الأندلس، كانت فاخرة مزخرفة، ونظافة المحيط ما زادها بهاء، كان ذلك المكان مقعد الشيخ دائما، لا يفارقه أبدا..

فلمّا لمحه الشيخ ناداه بصوته الحكيم:

- أيها الشاب..أيّها الشاب، تعال هنا
- نعم أيها الشيخ الأبيض
- هل أنت ذاهب إلى الكنيسة؟
- نعم، بالطبع
- آه حسنا.. أيّها الشاب سأسألك سؤالا أجبني بجوابك ولا تجبني بما يقولون عنه في المدينة و الكنائس
- تفضّل

- عندما ولدت وبدأت تكبر وتعبد ما تعبده وتؤمن بما تؤمن به، هل طرحت في عقلك إن كان ما تعبده هو الدين الصحيح؟ وهل ما تتعلّمه في الكنائس غير مكذوب؟ من إنجيل وكتب شفوية
- آآ .. في الحقيقة.. لا، ولما هذا السؤال

فقال الشيخ مطأطأ رأسه تارة ورافعا له تارة:

- ابحث يا بنيّ عن الدين الحق وحتّى لو جبت العالم كلّه باحثا، وان متّ فإنّك ستموت باحثا عمّا ينفعك ولا تتبع أصحاب اللسان، بل اتبع نفسك وابحث عن ما هو صحيح، فكيف لبشر يعبدون بشر مثلهم، أو يتخذونه ابن لله؟
- لماذا تقول لي هذا، وكيف تأكّد لي ذلك؟..

كان بجوار الشيخ كتاب خاص بالإنجيل يتخذونه مقدّسا وأيضا بعض الكتب التي تفسّر الكتاب من ترجمة يسوعية، وكتاب أخبار سيرة الكتاب المقدّس وكذلك في كتاب الترجمة العربية

فأمر الشيخ الشاب أن يقرأ حديث ونص صفر القضاة في أحد الصفحات، ففعل ماثيو كما أمره..

قرأ ماثيو النص ولمّا وصل إلى ما كان يريد أن يصله إليه العجوز أكمل ماثيو:

- "..وكان يهوناثان ابن جرثوم بن منَسّى، هو وبنوه.."

فأوقفه الشيخ قائلا:

- أعد.. لقد قلت بن منسّى أليس كذلك
- نعم
- الآن خذ كتاب الترجمة اليسوعية

وأمره بالصفحة والسطر وقرأ ماثيو:

- " .. وكان يهوناثان ابن جرثوم بن موسى، هو وبنوه.."

فتساءل ماثيو في سرّه:

- آه..حقا لم أنتبه لهذا من قبل..فظنّ أنّ الشيخ يريد تضليله لكن مع ذلك لم يرد مقاطعته..

فقال الشيخ: - هل رأيت الفرق؟

- نعم، رأيته..بين منسّى وموسى..

فأمر الشيخ مرّة ثانية لماثيو بأن يأخذ كتاب ترجمة سيرة الكتاب المقدّس الإنجليزي وكذلك أمره بالصفحة والسطر فقرأ ماثيو:

- **"..وكان يهوناثان ابن جُرثوم بن موسى، هو وبنوه.."**

وأمره أضا بأخذ الكتاب الثالث والأخير الذي هو بالعربية المبسّطة

فقرأ أيضا نفس الذي قرأه في الكتابين السابقين.." بن موسى.." وليس بن منسّى كما وجده في الحديث المقدّس صفر القفاة

قال الشيخ : " هل لاحظت الآن أنّ هناك شبهات واختلافات في الدين.."، ربّما حرف واحد سيكشف أمر خديعة النّسّاخ والكهّان، وهناك الكثير من المناقضات أيها الشاب أنتم غافلين عليها

لكن دعك من هذه الأمور الآن، أنا إسمي "كيليون كاثكارت"، كنت مثلك جاهل مسيحي وفي الأخير بحثت وأدركت ما هو الصواب، فهذا دين خاطئ أيها الشاب، والله ينتظر منك أن تستخدم عقلك فقط، لقد كنت مثلك تماما، ترعرعت في عائلة مسيحية، لكن توقفت عن الإيمان بهذا الدّين، لأنه لم يبدو منطقيا لي، أدركت أنّ الثالوث المقدّس لم يتطابق مع فكرتي عما يفترض أن يكون الخالق عليه، نقول أنّ الله واحد، لكن الثالوث ينصّ على أنّه ثلاثة كائنات، وكان ذلك محيّرا بعض الشيء، وكنّا في بعيد الأوقات نجعل الخالق إنسانا، فكرتي عن الخالق في ذلك الوقت وحتّى الآن هي أنّه كائن قويّ جدّا ويستطيع خلق الكون، كيف يمكنني حقا فهم ماهيته، لأنّه لم يكن من المنطقي أن يسير الخالق في الأرجاء وأن يضطرّ إلى خلق نفسه بهيئة إنسان ويقتل نفسه حتّى يغفر لنا، لذا فكّرت ألا يمكنه ألّا يغفر لنا ببساطة، لكنني توصّلت إلى الصحيح وقصّتي طويلة لا يمكنني أن أكملها عليك..، على مهنتك الآن أن تكون باحثا، وعندما تبحث عن الإلاه الصحيح تعال إليَّ ستجدني هنا أنتظرك وسنوحّد القارات على الدين الصحيح أنا وأنت.. .

في هذه اللحظات جاءت حيرة عظيمة للشاب وتساؤلات كثيرة بشأن ما خرج من لسان الشيخ الطاعن في السّن وقصّته، فما كان عليه سوى شكر الشيخ على النصائح المحيّرة والصادقة له وذهابه.

مشى ماثيو مطأطأ رأسه إلى الأسفل شارد الذهن كأنه غائب الوعي سكران لا يرى أمامه، وفجأة اصطدم بفتاة ترتدي قبّعة رمادية ومئزرا فيه الأسود والرمادي وكانت حاملة لمأكولات وسوندويشات مسرعة نحو سجن المدينة، فسقط ما كانت تحمله وبئسا لقد نظرت العيون التي لم أكن أريد أن أصفها، عيناها سوداء قاتمة، لا شؤب فيها ولا غبار كانتا جذابتان، حالكة السواد، يا إلاهي كدت أن أكتب قانون الجاذبية الثاني عندما رأيت عينيها تلك، سيبيد قانونك يا نيوتن، إرحل أنت وفيزياؤك وقوانينك الجافّة، لقد كانتا تفوقا الجمال، لقد أنسيا ما كان ماثيو حائرا فيه ، يجذبان كلّ من رآهما.. وبعد نظرات عميقة من الطرفين في ذلك الجو الخريفي انحنى ماثيو متأسّفا وخجلا لفراغ جيبه الذي ليس فيه قطعة نقدية واحدة، لكن صاحبة الملامح الأندلسية والشعر الأسود القصير الذي كان مسدولا فقالت بصوت أنثوي طَرَبَتْ له آذان ماثيو:

- **لم أكن أعلم أن الشباب يفكّرون مثل الرجال المسؤولين على أولادهم**

- **آسف جدا، أنا حقّا آسف سيّدتي، وبالنسبة للطّعام سأذهب فورا للبيت أجلب النقود وأعيده لك**

ردّت الفتاة التي تعتبر بمثل عمر ماثيو بأدب:
- **لا لا داعي لذلك، هذا الطعام الذي سقط كنت سأرميه في المزبلة، أما هذا الذي في يدّي فإني سآخذه إلى السجن**

شكرها ماثيو على حسن وأدب طريقة معاملتها وأسلوب ردّها و حملا ما سقط على الأرض في المزبلة وسألها في الطريق :
- **قلت قبل قليل أنك ستأخذينه إلى سجن المدينة، لماذا؟**
- **أنا أعمل هناك مساعدة الطبّاخ**

- **آه، حسنا..جيّد**

وما لبثوا إلاّ قليل حتّى ظهر رجلٌ ضخمٌ أراد الإعتداء على السيدة صاحبة القبعة الرمادية، فجاء من خلفهم بمضرب خشبي حمله على الأرض كان قد أبصره ماثيو فلمّا كاد أن يهجم على الفتاة حتّى استدار ماثيو فضربه بقدمه فسقط وصرخت الفتاة بأعلى صوتها وخافت، فجاء رجال الشرطة كانوا بالقرب منهم فخلّصوهم من الرجل صاحب المضرب الخشبي، فانقلب الدور وشكرت الفتاة ماثيو هذه المرة على مساعدتها.

مرت أكثر من ساعة وهما يتحدّثان ويتبادلان أطراف الحديث، فسألته عن اسمه فقال " ماثيو" فتشرّفت بمعرفته قالت..وكانت تنتظره ان يسألها عن اسمها لكنّه لم يسأل وخفضت رأسها أرضا و تضرب بإصبيعها السبابتين وقالت :
إسمي هو " ناتانيا " يا ماثيو
فقال: - إسم جميل هذا، تشرّفت بمعرفتك
فودّعا بعضيهما بالكلام والعيون وانصرف كل منهما إلى سبيله

*** * * * * ***

وصل أخيرا إلى بيت صديقه " إدوارد " بعد التقائه بشخصين أحدهما حيّر عقله والآخر حيّر قلبه، وإدوارد هو شخص صديق لماثيو لكن كان يكنّ له بعض الغيرة المتواصلة لأنه أحسن منه والسبب الرئيسي لانجذاب الفتاة التي يحبّها إدوارد إلى ماثيو، رغم أن ماثيو لم يكن مكترث لها..، وهي ليست صاحبة القبعة الرمادية ناتانيا، كانت طفلة أخرى، فناداه فخرج و مشوْ إلى وسط المدينة قاصدان الكنيسة،

وبالضبط أين تولّى والده منصب البابا الأصغر، وفي طريق المشي لاحظ إدوارد بعض الشحوب والصمت المتواصل لماثيو فسأله:

- مالذي يسكتك يا ماثيو؟
- لا شيء، فقط بعض المغالطات تدور في عقلي
- أخبرني مالذي يحدث، أنا صديقك أنت تعلم
- لقد إلتقيت بشيخ عجوز أبيض حقيقة تبدو عليه ملامح الحكمة، فأعطاني أسئلة حقا عجزت على ردّها له
- و مالذي سألك عنه؟
- كيف عرفت أن المسيحية هي الدّين الصحيح وأنّ الكتاب المقدّس غير محرّف وأن البابا غير كاذبين وغيرها من التساؤلات التي تحيّر

و ما لبثوا إلا قليلا من الكلام حتّى دخلت وسوسة شيطان عظيم لإدوارد، لقد تذكّر ما يقوله قانون القارة الشهير والمعروف في أرجاء المدينة، وهو الإعدام لكلّ من يشكّ في أمر الدّين، لأنهم يعلمون أن القارة ستصغر إذا بدأ النّاس يدركون دينا آخر، فما كان على إدوارد سوى الاستماع لكلام صديقه والوصول إلى الكنيسة وما يخبّئه من خبائث في عقله..

وصل الصديقان إلى الكنيسة والجمع كبير وغفير من الناس و البابا، وكان رجال الشرطة أمام باب الكنيسة منهم من يحرس ومنهم من هو جالس فحسب،
وبينما الكلّ يؤدّي طقوسه مع البابا الكبير وكان معه البابا الأصغر والد ماثيو صرخ إدوارد بأعلى صوته نحو البابا:
أيّها البابا.. إن ماثيو خالف قانون القارة الأوّل وهو يشكّ في أمر ديننا، لقد سمعته جيدا بأذني
فقال البابا مندهشا ومستهترا:

- ماذا؟ ماثيو ابن البابا الأصغر يخالف قوانينا

فنظر نحو مارتن والعصا في يده:
- ماذا يجري هنا يا مارتن ، أليس هذا ابنك، أين ما علّمته؟
فقال مارتن:

- لا .. لا سيّدي ربّما سوء تفاهم بينهم فقط.

فغضب البابا وقال:
- لا أريد أيّ عذر، أيّها الحرّاس.. خذوه إلى السجن إلى حين إعدامه ليلا بعد في

وسط الكنيسة كما تفعلوا في كلّ مرة أمام أعين النّاس..

فانصرف البابا وهو يضرب بالعصا في الأرض وما كان على ماثيو بعد سماع كلام الغدر من صديقه وكلام البابا المهدد القاتل إلّا أن يهرب ويفرّ من وسط ذلك الجمع الغفير من النّاس داخل االكنيسة
فحاول الفرار إلّا أن إدوارد أعاقه وقال له :
- إلى أين تريد الذهاب الآن أيّها الخائن
ردّ ماثيو:
- خائن؟ الخائن من خان صديقه ليس من شكّ في دينه المزيّف في نظري

فقال بصوت عال سمعه كلّ من كان في الكنيسة:

- بشر يعبدون بشرا مثلهم ومنهم من يؤمن به إلاها، هذا أمر فيه مغالطات علينا مراجعتها..

فتشابك الأثنان داخل الكنيسة وماثيو يحاول الفرار والحرّاس قادمون من بعيد و مارتن متوتر من شان ابنه والبابا الأعلى يمشي نحو مقصورته وهو يضحك ضحكات مخيفة بعض الشيء والناس تراقب ما تراقبه

جرت لكمات عديدة بين الصديقين، فكان أغلب الفوز من جانب ماثيو، فأخرج إدوارد مسدّس والده الشرطي الذي كان في جيبه بعد سقوطه على الأرض فأوجهه نحو ماثيو:
- **إلى أين الآن؟ أنت بين المسدّس و الشرطة داخل مكان محصور، اهرب ان استطعت، أهرب.. كان قد قالها بضحكات خبيثة ومحتقرة**

فقبضوا على ماثيو وكانت ردوده صامتة باكية، لقد خانه صديقه على شيء قاله له غلطة، هبط الأخير رأسه أرضا وهو بين أيدي شرطة آخذينه إلى سجن المدينة منتهيا يومه على هذا القدر من اللقاءات التي أقدمت منها على تعليمه، فانتهى بعد تساؤلات الشيخ المحيّرة ولقاء مع وردة سوداء باردة طيبة الأخلاق ووسوسة قادها شيطان وطبّقها إدوارد و ها هم الآن أخذوه إلى السّجن..

*** * * * ***

أمر الطّباخ لناتانيا بأن تأخذ الطعام إلى السجن رقم ستة و سبعة، فكانت خفيفة لعوبة حاضرة وقالت سائلة:
- هل هناك سجين جديد في السجن سبعة
أجاب الطبّاخ بنعم لقد أحضروه اليوم، وسيعدموه ليلا لإخلافه قانون القارة والمدينة، هذا ما سمعته من الحرّاس قبل قليل

أخذت ناتانيا الطعام إلى السجن ستة كالمعتاد وهي تولول وتصفّر فأعطته طعامه كان حساء البارحة وما إن وصلت إلى السجن سبعة حتى تبدّلت الملامح وارتفعت الأعين والدهشة غامرة جسدها كلّه
لقد رأت ماثيو الذي التقته من قبل في ساحة المدينة والذي ساعدها من الرجل صاحب المضرب الخشبي، رأته وهو جالس على الأرض مطأطأ الرأس وجالسا جلسة القرفصاء وكان قد قال في نفسه قبل وصولها بلحظات:

- **نهايتي اليوم ليلا ماذا سأفعل في هذه الساعات المتبقيّة، ومتى سأودّع أغنامي وكذلك ناتانيا..**
ناتانيا .. مهلا، أليست تعمل هنا في هذا السّجن؟
نعم نعم تعمل هنا

وبعد دهشات متواصلة من ناتانيا قالت بصوت خفيف خشية سماع الحارس أنها تعرفه:

- **ماثيو..ماثيو، هذه أنا**
ماثيو : أخيرا جئت، كنت أنتظرك يا ناتانيا
- **لا تقل لي أنّك الشخص الذي ستعدم ليلا يا ماثيو.. قالتها بحزن**
- **نعم وذلك بسبب إدوارد، أُقسم أنني سأنتقم له.. ولكن أوّلا كيف سأخرج من هنا**
- **لا أدري ؟ وأبوك ألم يفعل شيئا**
- **لا أعلم فهو لا يكترث إليّ أصلا**

وفي حقيقة الأمر أن والده مارتن كان يترجّى البابا الأعلى و والي المدينة بالعفو عنه إلّا أنهم أبوْ.

فما كان على ناتانيا سوى الحزن الشديد و التأسف والشكر على ما فات، ومسكت بيده قليلا وتساقطت بعض الدمعات والعين بدأت في الاحمرار، فرحلت..

بقي ماثيو يفكّر كيف الخلاص من هذا القيد الذي حبسه وأين وجهته إن خرج فقال في نفسه :

- **إذا أعدموني فإني ميّت، وهذا حقّا سيقع فكلّ من خالف القوانين يعدم لا ريب في ذلك، وإن شاء القدر وخرجت فإني سأجوب القارات الخمس باحثا عن الدين الصحيح كما قال الشيخ الأبيض، دخلت السجن بسبب شكّ انبعث من الدين، لذا عليّ البحث..**

بعد حوار طويل لماثيو مع نفسه قطع أمل النّجاة، فمن ذا الذي سيستطيع مساعدته على الخروج، ناتانيا؟ كيف ستحصل على المفاتيح، لا يمكن..
أبي؟ لن يستطيع، فالبابا عنيد..
أمّي ؟أغنامي؟ الشيخ الأبيض؟ أصدقائي؟..
لقد تملّك اليأس والحزن أمر ماثيو وعقله في أمّه المسكينة وقوس أبهريته يتحسّس للحزن لا للهواء..

*** * * * ***

لقد حلّ الليل ولم يتبقّى سوى ساعة واحدة على إعدام ماثيو في وسط المدينة تحت أنظار النّاس وأمّه وأبيه البابا الأدنى وأصدقائه وناتانيا التي كانت خير ما جادت به صدفه..

وفي سجنه ليلا والظلام يوجد، وقليل من الضوء ينير ذاك المشهد، والحارس بقربه ينتظر أوامر البابا الأعلى بإحضاره إلى مكان الإعدام

صدر صوت من باب السجون الداخلي يقول : " أيّها الحارس، البابا يناديك "، فذهب الحارس ليرى من، ربّما ناتانيا ..
ففتح الحارس الباب الحديدي الكبير ولم يجد أيّ أحد، فراح ينادي حارسا آخر يناوبه في الحراسة للذهاب إلى البابا الذي استدعاه، أيضا لم يجد الحرّاس، أين هم..فنادت ناتانيا الحارس من بعيد، كانت خارج السّجن أمام البوابة الأمامية وتقول: "أيها الحارس تعال معي الطبّاخ يريدك"، فتبعها ونسي الباب الحديدي للسجون مفتوح ..

فظهر شخص يرتدي أسودا يغطّي كامل جسمه ووجهه وعينيه مغلّفتان لا يستطيع أن تعرف من هو، فتوجّه إلى السجن سبعة ففتح الباب لماثيو فراح مسرعا، وماثيو يناديه: ناتانيا.. نعم ناتانيا، إنتظري، كنت أعلم أنّك الوحيدة القادرة على مساعدتي..

فلم يأتي أيّ رد من المساعد الذي خلّصه من موت كان سيحدث خلال نصف ساعة فقط، وراح مسرعا لم يلتفت هنا أو هناك، ولحق ماثيو به فغاب عن نظريه فلم يجده.. وفرّ ماثيو أيضا متسللا لكي لا يبصره أحد و داركا أنّ ناتانيا من ساعدته..

خرج ماثيو من السجن الآن، ولا يدري أين يذهب..

فتوجّه إلى بيتهم مودّعا أمّه وأبوه أوّلا على أنه راحلا يجوب القارات الأربع المتبقيّة داركا أنّ المسيحية دين خاطئ لما تحمله من فتن وطقوس وهم صنفان منهم من يؤمن أنّ عيسى ابن الله ومنهم من يتخذّ نبيّ الله عيسى ربّا لهم، وسبق وقال في نفسه وذلك في لحظة سماع أقوال الشيخ الأبيض:

"كيف لعبد أن يعبد عبدا آخر.. وكيف لربّ أن يكون له ابن"، أنا حقّا مغفّل لم تأتي في بالي أي من هذه الملاحظات التي سألني عنها الشيخ

فدخل المنزل فوجد والداه في الغرفة يتحدّثان عنه فاندهشا منه لوجوده في البيت مع أنه كانت تبقيت نصف ساعة على إعدامه، فعانقاه بشدّة وأخبروه بأن يذهب إلى بيت ابن عمّه في أقصى القارة عساهم لا يجدوك لبعدها، وكان أبوه قد رفض تلك الفكرة التي صدرت من ابنه وكذلك أمّه، قاله لهم:

- **دعك من هذا التفكير أيها الأبله، من أين جاءتك هذه الأفكار؟ والآن ايضا سيأتون إلى البيت بحثا عنك، وسيحققون معنا ظنا منهم أننا من ساعدناك على الهروب**

فنشب حوار جار بين الأب وابنه بشأن المسيحية وقال الابن:

- **كيف تريدني أن اكون مسيحيا بعقائد تافهة لم أجد لها ما يثبّتها، وطقوس تحيّر العقول.. من طقوس الأسرار السبعة لكم، التي تكون بمادة معيّنة من "سر المعمودية" الذي يكون بوضع الطفل المولود الجديد في ماء تتخذونه مادة منظورة للخلاص من الخطيءة، ومن "سر التثبيت أو سر الميرون" (الزيت المقدّس) الذي يحتوي على أنواع أطياب مختلفة إشارة إلى مواهب الروح القدس المتنوعة..**

فبدأ غضب الأب يزداد من تصرّفات ابنه التي اسكتته وما كان يجيب إلّا بلغة الفلاسفة التي تجعل بالفم يثرثر فقط..

وكان ماثيو يواصل حديثة بشأن الطقوس فأكمل :

- **وذلك السر الذي تعتبرونه أهم طقوسكم وهو أن تتناولوا خبزا مع كأس خمر متخذين الخبز جسدا لإلهكم و الخمر دما له.. يا حسرتاه.. إنكم ظانين أنكم تعبدون..وكذلك مع سر التوبة والكهنوت و المسحة المرضية وسر الزيجة**

فما كانت ردود أبوه مارتن إلّا بكلام لم يقنع ماثيو ووالدته حائرة بينهما لشجار في وقت عصيب كذلك فالشرطة تبحث عن ولدها.. فأسكتتهم وودّعت ماثيو، وأخبرها أنّها سيعود بعد رحلته..

فقرر الذهاب مباشرة وذلك بعد شكر ناتانيا التي ساعدته أوّلا..

توجّه ماثيو إلى سجن خفية مرتديا لباسا أسودا كان يشبه ما تسمّى ب"القشابية" التي يرتديها أغلب سكّان شمال إفريقيا التي نعرفها

وصل إلى السجن عبر أزقة كان يجاوبها فرأى حشدا من الحرّاس مجتمعا حول

السجن يذهب ويدور حول تلك المناطق القريبة و ناتانيا بقربهم أيضا، فاقرب قليلا

وانتظر لحظة غفلة الحرّاس فلوّح لناتانيا فلم تره، فاضطرّ للتصفير فأبصرته

وأخبرت الحرّاس أنّها تريد الذهاب لتشتري فالطباخ أمرني، فوافق الحرّاس

وسارعت إلى ماثيو..

- الكلّ يبحث عنك يا ماثيو مالذي تفعله هنا؟ أهرب ما دمت طليقا فأنا حقا خشيت عليك، ولكن كيف استطعت الفرار؟
- الفرار..؟ ماذا تقصدين بذلك؟ ألست أنت من ساعدني يا ناتانيا؟
- أنا ؟ لا لم أفعل ولم أدخل السجون وقت حلول الظلام أبدا..
- لكن سمعت صوتك تنادين الحارس بأن البابا يستدعيه وذلك لكي تفتحي لي باب السجن
- صحيح في ذلك الوقت ناداني البابا بأن أستدعي الحرّاس، كان هو و والي المدينة

فعمّ سكوت حالك لماثيو عندما علم أنها ليست ناتانيا من ساعدته

- **لكن من سيساعدني غيرك..**

وبدأ التفكير يشغل عقل ماثيو، فوصل إلى شخص ربّما هو من ساعده وهو من كان سبب دخوله السجن، إنه الشيخ الأبيض

ودّع ماثيو ناتانيا توديعا رومانسيا بعض الشيء وراح مسرعا لمكان الشيخ المعتاد

فوجده وسأله إذا كان هو من ساعده فكان جواب الشيخ ب لا وقال الشيخ:

- **هل أدركت أن المسيحية و ملّاكها ليس بدين الآن.. يعدمون فقط من شك فيه، أمر غريب حقا، عليك بالبحث كما أخبرتك أيها الشاب في القارات الأربع المتبقيّة وبما أنك في الشمال الآن ابدأ من الغرب ثمّ القارتين الجنوبيتين ثم الشرق..**

سأل ماثيو:

- هل بحثت أنت أيها الشيخ في جميع القارّات ؟

- بحثت ووجدت الصواب أما عن ان أخبرك به، فلن أخبرك، لأن تصديقك لن يكون كافيا، لذا ابحث أنت بنفسك وانظر بعينك ودوّن ما تراه.. وابدأ بهذه القارة (جيسوس خريستوس) ذات الديانة المسيحية التي أنت فيها، ومن المفترض أنّك أدركت أمرها وقذارة قوانينها و صلاتها وأكاذيب البابا..

كان ماثيو قد أدرك ذلك حقّا، ولكن ما كان يشغل باله هو كيف اذن تم تحريف المسيحية وأكثر ما شغل باله هو من الذي ساعده في الفرار من السجن

فمن يا ترى؟ وما قصّته

*** * * * ***

طلع الضوء الذهبي في السماء وما زال رجال الشرطة وحرّاس الكنيسة يبحثون عن ماثيو، قصدوا بيت أبيه وأمه وبيوت كلّ أصدقائه فلم يجدوه..، بينما هو في هذا الوقت كان نائما في مزرعة عمّه القديمة حيث كانوا يضعون الأغنام..

بعد استيقاظه كان قد راوده حلمٌ لم يجد له أي تفسير، عجز عنه..كان فيه الكثير من الأحداث، لكنّه نساه ولم يكترث له ظنًّ أنه حلم، و لكن في الحقيقة هي رؤيا كانت قد راودته

وبينما هو في المزرعة داخل بيت الأغنام وقرر قراره الأخير بأن يسافر قاصدا القارات

الأربع المتبقية..

توجّه نحو الكنيسة مرتديا القشابية السوداء التي تغطّيه من الحرّاس والنّاس، ولمّا وصل دخل خفية إلى مقصورة البابا وسرق كتابهم المقدّس والمحرّف ألا وهو الإنجيل كما نعلم والذي يجهل أمر تحريفه ماثيو وكل المسيحيّين، ووضعه في حقيبته الصغير المصنوعة من الجلد ذات اللون الأسود وانصرف..

إصطبغت حافّة السماء باللون الأحمر عندما كان ماثيو في المزرعة يتذكّر تارة ندمه على تصرّفه الغليظ نوعا ما مع والده، لكن حقا قد سبق له أن عرف الكثير من أمر دينه المشكوك، وتارة يتذكّر الفتاة التي التقاءها والتي كانت أجود من التقى به لأنه ما من مرأة تشبهها، فبات يتمتم مع الأغنام ويحدّثها عنها، وعندما حلّ الليل نام كعادته السابقة..فراوده ذلك الحلم من جديد..

*** * * * ***

حضّر الشاب نفسه وأمتعته للرحيل في الصباح الموالي الباهي الرائع وترك أغنامه في المزرعة عند الجبل ومعهم رسالة لوالده بأن يعتني بهم.

نزل من الأعلى متوجّها إلى الطريق الترابية حيث تسير العربات، فأراد أن يركب في عربة تخلو من النّاس خشية معرفته و القبض عليه واستدعاء الشرطة، وبعد يأس طويل لم يجد أي عربة تمرّ وهي فارغة، فقرر المخاطرة وركوب أي عربة تأتي الآن.. فاستنجد بعربة كانت محكمة ورائعة، أحصنتها شقراء ملساء البشرة و سريعة..

أمر السائق ماثيو الركوب..وما إن ركب حتّى ارتفعت عيناه من الدهشة وكذلك ملازمة الحواجب لتصبح مقوّسة وعالية وتجاعيد أفقية في أعلى الجبهة..لقد رأى نفس الشخص الذي ساعده في السجن، كان مرتديا نفس الثياب رغم أن الحادثة كان لها يوم سابق..

جلس ماثيو مقابلا الشخص الذي ساعده حيث لم يستطع أن يرى حتّى عينيه..

وفتح يديه كاملة كأنه يريد معانقته فحدّثه ماثيو باهجا:

- **مرحبا.. كنت أبحث عنك أيّها السيّد وشكرا كثيرا لن أنسى مساعدتك..لكن لم أعرفك، من انت؟**

فقال المجهول بصوت غريب:

- **إلى أين أنت متوجّه الآن يا ماثيو..؟**

- **في الحقيقة أنت تعرف أمر الرعيان.. فهم يحبّون السفر والترحال، سأجوب القارات الأربع باحثا مستكشفا وخاصة تملّكي وفضولي يغلبني لمعرفة الدين الحق بينما جميع الديانات التي لا تعدّ منها الزائف ومنها المشكوك ولا بدّ أن يكون بينهم واحد صحيح وحقٌ..**

- و مالذي رأيته من دينك الذي ولدت عليه..؟
- في النظر إلى المسيحيين فأعتبر أن الإيمان بعقيدة الثالوث هو بمثابة كفر كبير..وبالتالي ليس المسيحيون بأطهار. عندئذٍ تصعب العلاقات بالمسيحيين، ولا يُنظَر إليهم نظرة الصداقة الحقيقية والإيمان الحقيقي ما لم يعتنقوا الدين الصحيح.. ولهذا أنا سأبحث في ذلك، وأنا أعتبرهم حقيرين جدّا بقوانينهم وطباعهم وصفاتهم وكهنتهم المخيفين..

وبعد حديث متبادل بين الطرفين في العربة ومازال المجهول مجهولا كما كان، قال ماثيو:

- حسنا من أنت، ما هذه التغطية المستمرة..

ردّ المجهول:

- ربّما لن تصدّق من أنا يا ماثيو..

فتصاعد فضول كبير مشوّك لماثيو..

فنزع المجهول الغطاء من رأسه ومن دون سابق إنذار صرخ ماثيو مندهشا ومتسائلا..:

- ما..ماذا؟..ماذا يحدث؟

وزاد ارتفاع عينيه عن السابق كفوهة البركان في اتساعها وارتفعت حرارته أيضا، وتجعّدت حقائبه وانكمشت، واستطال ذقنه القصير، وتوحّدت شعيرات رأسه كلّ واحدة على حدة، لم يصدِّق من أمامه، أمر عجيب أن يرى الشخص الذي أدخله السّجن ينقذه..

نعم..لقد كان صديقه إدوارد..

لا بدّ أن تكون هنا قصّة خفيّة حول ما يحدث، فكيف للذي كان سبب دخوله السجن أن ينقذه من الموت في آخر اللحظات، تعجّب ماثيو حتّى كاد لا يصدّق من الذي أمامه فما كان عليه سوى أن يطرح الأسئلة، فقال :

- هل أنت حقا إدوارد، كيف هذا ؟ مالذي جرى؟، ألست الذي أدخلتني السجن وأخبرت البابا بمخالفتي القانون في الكنيسة أمام ذلك الجمع الغفير وأمام أبي، وحتّى كدْت تقتلني بالمسدّس الذي أخرجته وقلت أنه لوالدك

بقي إدوارد يستمع لتساؤلات صديقه ماثيو في العربة التي كانت متّجهة نحو محطّة القطارات الجبلية كما أمر ماثيو سائق العربة، لأنها المحطّة القريبة للسفر و الوحيدة التي تحاسب بالمال القليل فالسفر فيها رخيص الثمن.

فقال إدوارد :

- **إنّها قصّة طويلة ومتداخلة يا ماثيو..سأقصّها عليك فانتبه جيّدا وأودّ أن تسامحني أوّلا لأنني كدن أن اسبب لك الموت لولا تدخّلي**

- **حسنا سامحتك بالطبع.. تفضّل.**

فبدأ إدوارد يقصّ عليه ما جرى، فقال له أنّه حينما كنّا في الكنيسة وسقطت أنا على الأرض مخرجا مسدّس والدي وأنا مصوّب نحوك، كانت هناك امرأة خلفك كانت بشعة المنظر ترتدي لباس ظننته تنّورة ولكن العكس بل كان يشبه كثيرا لباس السحرة كانت لباسها خشنة حالكة البنفسج، وقبّعة طويلة بها نفس لون التنّورة
و أنفها طويل به خانة كبيرة في حافّته كأنّها خرجت من عالم أفلام الرعب حقاً، مرتدية خاتما كبيرا في وسطه دائرة محيطة بكلّ الخاتم مرسوم فيها نجمة سداسية أو سباعية لم أرها جيدا، فأدركت أنها إمّا ساحرة أو مساعدة الكهنة في الكنيسة في أمور الأسرار السبعة لدينا كما تعلم ،و حين رأيتها خفت جداً ولكن لم أكترث لها لأننا كنّا مشتبكين كما تعرف، و فقط عندما أبصرتها لوّحت إليّ بإصبعها وهي مبتسمة مجعّدة الفم والوجه إلى غرفة التحكّم في الكهرباء حيث لا يوجد أيّ أحد، فلمّا أخذوك و بدأ المكان يفرغ ذهبت إلى الغرفة كما أرادت وكنت خائفا جدا، دخلت فلم أجد غير الظّلام الحالك..فانتظرت وانتظرت فلم تأتي فكنت خارجا ماسكا مقبض الباب حتّى نطقت بصوت العجائز السحرة المخيفين:

- **إلى أين أنت ذاهب.. ألم تلاحظني أيها الأبله، منذ أن أتيت وأنا هنا في الزاوية**

إنّ الظلام حقّا شيء رائع..إنّه نور.

وفقط حين قالت ذلك مع بعض الكلمات التي أعجز أنا عن فهمها زاد خوفي إلى درجة الهروب والفرار منها، لكن خفت أن تفعل بي شيء ما.. فلا تدري ما في جعبة السحرة فتدخلت قائلا متوترا خائفا :

- **آآ أيتها السيدة..، تبدين مخيفة بعض الشيء، كان قد قالها أيضا شبه ضاحك كي لا يبيّن لها أنه خائف فقط..**

وقال أيضا:

- **لماذا ناديتني إلى هنا في هذه الغرفة وما موضوعك؟**

فقالت لي لا أريد أن أحدّثك هنا في هذا الموضوع بل يجب عليك مرافقتي إلى بيتي في أعلى الجبل وهو قريب إلينا من هنا ليس ببعيد..

و إدوارد يقصّ القصّة على ماثيو وكأن العرق بدأ على كليهما من خوف و اضراب نفس وتوتر وغياب وعي مع سائق العربة..

و بقي إدوارد مكملا حديثه..

ولمّا وصلنا إلى بيتها ودخلت بعد أن كان قلبي سيرحل من ذلك الخوف المتواصل وفي الطريق سألته إن كانت ساحرة كما أعتقد منذ البداية، فكان جوابها أن كانت هي منجّمة تدّعي الغيب وكما لها علاقات مع الجنّ والشياطين والروح، والمنجّم هنا ليس الذي يقوم بتدعين الذهب والمعادن القيّمة، بل هو الذي يدّعي الغيب من خلال طقوس لا يدريها إلّا المنجّمين، وقالت أيضا أنّها يمكنها ان تصير ساحرة وأيضا تقوم بتفسير الأحلام وما شابها ذلك من رؤيا وغيرها

فاستوقفه ماثيو بتعجّب وعودة وعي، لأنّها طرقت في عقله فكرة أن يستشير هذه المنجّمة عن حلمه الذي كان قد راوده مرّتان والذي لم يخبره لأحد، وذلك أيضا

وبعد أن درى أنّ منزلها قريب مما هما فيه من الطريق، لكنّه لم يرد أن يقطع كلام إدوارد وأكمل إدوارد..

عندما جلسنا أخبرتني أنّك يا ماثيو شخص يجب المحافظة عليه وقالت أنّك ستبدّل مستقبل هذه القارة وأنّك الوحيد الذي يستطيع أن يجعلنا قارة واحدة يسودها الأمن كما كانت قبل قرون كثيرة بلا قوانين أو حروب أو تعدد ديانات كما هي الآن وقالت مواضيع كثيرة عليك لم أفهمها وفي تلك اللحظة أنا حقا هجت عليها بالصراخ والكلام، لأنّها وكأنها قالت شيئا سيّئا عن ديننا
لكنّ ذلك الكلام ليتني ما قلته وصمت، لأنّها نظرت إليّ بنظرة تفزع الأسود والضباع حقا، في تلك اللحظة التي نظرت إليّ بتلك الطريقة قلبي جفّ وتلهّف للدماء والهواء، ولكن واصلت السماع
أخبرتني أنّك ستجد كتابا سيدلّك على الصّواب وستجوب رحلات ومشقّات أخرى غير هذه قبل أن تجد الكتاب وهو دليلك الذي سيجعلنا قارة واحدة وسيعود سلام كوكبنا
فاحتار ماثيو لأمر ساحرة تريد السلام ودين واحد مع أنّها تتعامل مع مخلوقات غير البشر فسأل إدوارد عن هذا، فكان جواب إدوار أنها حكت له قصّة لها أنّها عندما كانت صغيرة ماتت عائلتها كلّها ولا سيما ابنتها التي أحبّتها كثيرا، وقالت أنّها لم تكن هكذا عندما كانت صغير العمر قليلا، بل كانت عكس ما هي الآن وذلك بسبب اختلاف الأديان الذي أدّى صراع بين جميع القارات الخمس والتي نشبت في منطقة " ناني " والتي تعني "منطقة الأقزام" التي نعرفها في قارة خريستوس تحديدا، فماتت عائلتها جرّاء تلك المعركة الضخمة وبدأ حالها يتغيّر شيئا فشيئا من السلام إلى السحر الذي هي فيه الآن والمهم
بعد حديث طويل بيننا لا أدري كيف أقنعتني بذلك وأمرتني أن أرتدي هذا اللباس الذي تراه هي من أعطتني إيّاه وكذلك هذا الغطاء الذي ارتديته على وجهي والمباشرة بمساعدتك ليلا فورا وذلك باغتنام فرصة ما يغيب فيها الحارس عن

حراسته

فاغتنمت فرصة ناتانيا عندما نادته وحدث ماحدث.. .

وبعد قصّه له سبب إنقاذه فهم حيرته الأولى والتي ربّما ستقوده إلى الحيرة الثانية وهي حلمه الذي راوده مرّتان، فأخبر ماثيو إدوارد أن يذهب معه إلى بيت هذه العجوز

*** * * * ***

قادت المرأة العجوز ماثيو وإدوارد داخل منزلها، وإلى غرفة منعزلة قليلا عن الغرف الطبيعية الأخرى، وتفصلها عن الغرف الأخرى ستارة بنفسجية حالكة اللّون وهناك في الغرفة طاولة مفرّشة عليها قماش أخضر قاتمٌ جدا مرسوم عليه الكثير من الغربان السود، وصورة لفتاة شابة صغيرة معلّقة في الجدار المقابل للطاولة ربّما كانت ابنتها الميّتة، لكنّ الصورة كانت مخيفة، فالفتاة كانت تنظر للناظرين رغم تبديل زاوية واتجاه النظر، كانت تشبه كثيرا للوحة موناليزا التي نعرفها.

جلس الأثنان وأمرت العجوز لإدوارد بالانصراف خارج الغرفة إلى حين إكمالها مع ماثيو..

طلبت العجوز يد إدوارد فأخذتهم إلى يديها، وراحت تتمتم بكلام لا يفهمه، قال في نفسه والخوف يتملّكه:

ربما هذه طقوس السحرة التي لا يفهمها النّاس العاديون، وربّما هي لغة الجن والشياطين والسحرة، وربّما صلاتهم، أو هي صلاة غجرية.

لقد سبق له ان التقى العديد من الغجر من قبل عندما كان صغيرا، وثمّة شائعة تقول أنّ الغجري هو شخص يقضي وقته في خداع النّاس وتضليلهم وربما هم مسيحيّون، ويقال أن الغجر أقاموا حلفا مع الشياطين، وأنهم يسرقون الأطفال يجعلون منهم عبيدا لهم، فعندما كان صغيرا كان يخاف منهم كثيرا، وقد عاد إليه ذلك الخوف حين أمسكت العجوز بيده..، لكن ربما هي ليست من الغجر..

لقد حاول أن يطمئنّ نفسه، لكن توجد هنا هذه الصورة لابنتها التي منذ دخل الغرفة وهي تنظر نحوه، لقد زادت من خوفه وخاصة حين ينظر إليها بعينه، وهو لا يريد أن يرتجف فتتحرّك يده فتلاحظ العجوز خوفه، فما كان منه ارتجاف ولا صراخ، بل

بقي ساكنا يسمع ما تتمتمه المرأة العجوز

قالت العجوز دون أن تبعد يدها وعينها من ماثيو: "ماهذا..ماهذا الشيء الذي فيك أنت.."

كانت تقول ذلك مرارا وتكرارا فبدأ يشعر بالتّوتر أكثر فأكثر..حتّى بدأت يداه ترتجفان فحبس أنفاسه كي لا يرتجف، وحين رمت العجوز عينها المخيفة نحو الشاب سحب يديه بسرعة من عندها وقال:

- ألم تنتهي أيتها العجوز؟ ماهذه الطقوس التي كلامها يدخل كلّ أنحاء جسمي..

لديّ حلمٌ جئت أعرضه عليك عساك تفسرينه لي.

فقالت له:

- هل لديك ثمن الإستشارة؟..أنت تعلم أنني لن أفسِّر لك إلّا بالنقود..وهيا الآن إروي إليّ حلمك

-نعم نعم..حسنا..

لقد راودني الحلم مرّتان، ليلة بعد ليلة وهذا قبل انطلاقي في الرحلة..، وجدت نفسي مع أغنامي في أحد المراعي أجوب بها المرعى تأكل النبات الذي هو غذاءها، وإذا بعيني تبصر فتاة ترتدي ما يسمّى بالنقاب أو ما شابه ذلك كان لونه أبيض وكانت مغطّية وجهها، كنت أرى فقط عيونها..و من خلال عينيها فقط أدركت أنها فتاة حسناء الوجه، لم تكن بعيدة علينا كثيرا حوالي عشرين مترا، رأيتها تصلّي على عشب أخضر بطريقة أذهلت قلبي وليس حتّى عقلي، كانت متأنّية حالمة وتقول كلاما لم أفهمه ربّما بلغة أخرى (اللغة العربية)، وكانت تارة تقف وتارة تسجد والمهم أنّها عندما أكملت ما كانت عليه، توجّهت نحوي بأقدام كان صوتها حالِما فمسكت بيدي فأخذتني إلى قارة " ساراتشي" وكانت تردد كلمة واحد " موطنك " قالتها أكثر من مرّة..

و هذا هو حلمي وقد راودني مرّتان كما أخبرتك..

بقيت العجوز صامتة قليلا بعض الوقت، ثمّ أمسكت بيد الطفل كما فعلت المرة الأولى وقالت له:

-آه، نعم..الكتاب هناك في قارة ساراتشي، الكتاب الذي سيدلّك على الدين الصحيح أيها الشاب، وربّما تلك القارة صاحبة الديانة الصحيحة وهي قارة الدين الإسلامي

وفي لحظة سرد ماثيو للسيدة العجوز حلمه كان قد سمعه إدوارد من خارج الغرفة، فدخل بعد تفسير العجوز وقال:

-أهذا هو حلمك يا ماثيو: إنّه سهل التفسير، لو عرضته عليّ لفسّرته لك

فتدخّلت العجوز:

-أحمق..، عندما عرضه عليّ كدت لا استطيع تفسيره، لأنّ دائما الأشياء البسيطة هي دائما الأكثر غرابة، والسحرة وحدهم من يستطيع فهمها

سمع ماثيو كلام العجوزة جيّدا وراقب لسانها خطوة خطوة كي لا يغيب عليه حرف ممّا قالته، فأعطوها نقودها وانصرفوا من عندها متجهين مباشرة نحو محطّة القطار التي لا تبعد عليهم كثيرا، فمشيا على الأقدام سيصلون، وإدوارد كان سيوصل ماثيو إلى المحطّة فقط لأنه لن يلازمه في السفر وهو ليس لديه تلك الشكوك التي لدى ماثيو أيضا..

وصل الصديقان إلى المحطّة وكان القطار على وشك التحرّك، فنظر كلٌ منهما في الآخر بعينين مغرورقتين بالدموع وقبّلا بعضيهما قبلات الوداع وقال إدوارد:

- سامحني يا صديقي على كلّ فعل مشين منّي..أعلم أنني لم أكن صديقا جيّد

فقاطعه ماثيو:

- لا عليك يا صديقي، من الأفضل أنني نجوت والآن نحن معا ولا تنسى أنك أيضا من ساعدني

فتحدّث الصديقان حديثا سريعا مودّعا كانت تتخلّله دموع الرجال التي لا نراها كثيرا في الحياة..

فرحل ماثيو متجها نحو الجهة الغربية لأنها الجهة الوحيدة التي يذهب نحوها القطار وصولا إلى قارة جوداي (قارة الدين اليهودي)

فما كان على ماثيو أوّلا سوى أن يجتاز ثلاث قارات أخريات كي يصل إلى قارة ساراتشي لأنه ذهب من الغرب وهي موجودة في الجهة الشرقية

* * * * *

الفصل الثّاني

قارة جوداي

وصل الطَموح إلى القارة وذلك بعد ان استعار قاربا من أحد الاشخاص الذين التقى بهم عند الشاطئ الذي أخذه إليه القطار..

كانت القارة لطيفة نوعا ما من حيث رياحها الهادئة ونسماتها الباردة التي تأخذك إلى عالم بارد كما يحب ذلك القرّاء والكتّاب أيضا، ذلك العالم الذي يتخذونه نجاة من ضجيج العالم المستمر الذي لا يتوقّف، ولا أنسى ان أذكّركم أنّ ماثيو من عشّاق القراءة وكتابة الخواطر التي ربّما تزيل عنه بعض الآلام والهموم وسبيل كتابته هو التخلّص من الآلام بحروف لا يدرك شفاءها إلاّ من كتبها فأحيانا قارئ الخاطرة أو العبرة لا يفهم ما يتوصّل إليه كاتبها، فالزوايا تختلف..

كان سكّان هذه القارة يهوديين كما نعلم، وكلمة " جوداي" تعني اليهود أو اليهوديون باللغة اللاتينية القديمة، كان السكّان متنوّعين ومختلفين، لأنهم ليسوا من بلد واحد فاليهود في الأزمنة الأخيرة تفرّقوا وهو القلّة بين جميع الأديان في هذه الأزمان وبالتالي طبعا هي القارة الأصغر بين القارات الخمس..، ومن الأشياء التي يرتاح لك قلبك منهم من بين كل السلبيات التي فيهم هي أنّ القراءة تعتبر مقدّسة لهم..

(رواية فقط)

اليهود معروف عنهم الغموض والانعزال، وأنّهم مجتمع مغلق على أنفسهم .. ومن أشهر قوانينهم هي اختيار أكثر عشرة قرّاء قرأوا عددا كبيرا من الكتب أو الروايات أو غيرها من القراءات في كل بلد من القارة..وذلك في اليوم الثامن من شهر سبتمبر فيجرون مسابقة بين هؤلاء العشرة والفائز بينهم يجعلونه من الشخصيات المعظّمة في المعبد فيتيح له الدخول إلى المعبد والخروج منه كما يشاء.

لأنّ لديهم قانون آخر يقول أنّ كل من ليس له جنسية يهودية، يمنع دخوله للمعبد، وكتب التوراة توجد فقط هناك، كما أنّ المنازل تخلو من كتب التوراة وذلك أمرا من حاكم قارتهم الكبير لسبب يجهله النّاس..

*** * * * ***

دخل الشاب الباحث مدينة من مدن القارة في يوم الأول من شهر سبتمبر، كانت تعتبر مدينة عريقة جدا وشوارعها كأنّها شوارع باريسية من فرنسا، وكانت تشبه كثيرا مدينة فاس المغربية..، كانت كبيرة نوعا ما، ولديهم ساحة كبيرة في وسط المدينة يجتمع فيها النّاس..

" كنت أتمشّى وسمعت بعض النّاس تقول بينهم،" مدينة نيفرلاند " تبدو جميلة جدا فأدركت أنني في مدينة اسمها نيفرلاند..، يبدو اسم جميل، سمعته من قبل، لكن نسيت أين لا أدري.."

كان في هذه المدينة حصن كبير بينها وبين غابة كبيرة، قيل أنّها متوحشة وفيها كائنات خطيرة ومخيفة..

مشيت قليلا في المدينة التي أذهلت بندقية عيني، وريحها التي أمتعت أنفي ورياحها التي شعر بها قلبي، وكذلك الحال على صوت بائعات الورود في المحلّات هناك في كلّ إنحاء المدينة التي أربتن أذني، وبينما أنا أمشي سمعت أحد الرجال يقول لصاحبه: " قيل أنّ في الغابة منزل كبير يعتبر كالقلعة تسكنه عائلة مخيفة تتكون من تسعة أفراد، ستة ذكور أطفال، و بنت في العشرينات، ووالداهما أشدّ مخافة.."

كما سمعتهم يقولون أيضا "أنّ لكل فرد فيهم قدرة خاصة"..
لم أكترث لكلامهما كثيرا ولكن خفت قليلا..لأنّ مثل هؤلاء الأشخاص إمّا تجدهم يتعاملون مع الجنّ و إمّا هم من سلالة " الساغوين " (الدم) التي تعتبر أسطورة في عالمنا..

توجّه ماثيو نحو ساحة المدينة الكبيرة التي كانت فيها كراسي للجلوس و محلّات كثيرة ومن أكثرها وجد المكتبات، فقال في سرّه أنّ ناس هذه المدينة مثقّفون فلقد وجد الكثير والكثير من محلاّت الكتب، وأيضا أطفال وشباب على أرصفة الطرق يبيعون وكانت تبدو عليهم مظاهر الفقر القاسية، فما كنت أراه هو معاطف متسّخة و سراويل بالية، حذية مقطّعة، فأرى ذلك الشاب الأشقر يحاول إصلاح حذاءه لكن لا جدوى، فكلّما كان قد أوشك على اصلاحه يعود كما كان، وجهه مصفر من شدة الجوع، تبرز من وجهه عينان واسعتان بنيتان كالعسل، تعلوها أهداب طويلة وحاجبان مقوسان قليلا الشعر..

لقد أحزنتني تلك المظاهر لهؤلاء البائعين على الأرصفة.. لكن ما شغل بالي أيضا لماذا هذا الازدحام الكبير في محلاّت الجرائد والكتب
فسألت أحد المارّين عن السبب، فأخبرني على يومهم الذي لم يتبقّى له سوى أسبوع وهو قانونهم المشهور الذي يجازى فيه أكثر شخص قارئ للكتب من خلال تعظيمه في المعابد التي لا يدخلها الناس كثيرا ولا يقرأون توراتهم إلا عندما يدخلون..

*** * * * ***

قصد ماثيو محّطة القطار لتوصله إلى شاطئ البحر كي يسافر الى قارة "هيندوويسموس"، فتذكّر أمر فكرته التي عزم عليها في آخر رحلته كاملة أي بعد أن يجوب كلّ القارات و التي ستظهر في آخر الرواية..

- **عليّ أن آخذ معي كتاب التوراة كي أقدم على تجربتي وفكرتي التي ستدلّني في الأخير على الصواب**

قرر أن يشتري كتاب اليهوديّون المقدّس ألا وهو التوراة، فدخل إلى مكتبة كبيرة كان من المفترض أن يجد أي شيء يريده عندها، فلمّا سأل عن الكتاب صدم البائع وقال :

- **الكتاب ..!**

واضح انّك لست من هنا أيها الشاب..إن كتابنا المقدّس لا يدخل البيوت ولا يكون متاح لأي شخص..هو فقط في المعبد، والمعبد لا يدخله سوى اليهودي وذلك في وقت الصلاة فقط..

هنا سكت ماثيو قليلا.. ثمّ شكر البائع وانصرف من المحل وعقله يفكّر كيف يأخذ التوراة معه..فالمعبد لا يدخله إلّا من له جنسية اليهودية، و التوراة غير متاح للناس، لا في المنازل ولا في المدارس ولا في أيّ مكان..

فكّر فكّر ماثيو كثيرا وهو يريد فقط أن يأخذ معه التوراة وينصرف فهو لا يريد البقاء في هذه القارة لأنه خاف من كثرة قوانينها التي لا يدريها هو، ومتخذا ثقة في تجربته التي سيقوم بها في الأخير التي تصغر رحلته الطويلة..لهذا السبب يريد المغادرة سريعا

لم يجد أيّ فكرة كيف يأخذ كتاب التوراة
توجّه نحو مقاعد ساحة المدينة وجلس يفكّر..، ولمّا بلغ ذروة التفكير تذكّر أمر قانونهم الذي سيقام في ساحة المدينة بعد أسبوع من اليوم، ذلك سيجعله يدخل المعبد ويمكنه أخذ التوراة كما خطّط

كان ماثيو في جعبته الكثير من الكتب والروايات التي قرأها في صغره كمثل علبة كبريت بها أعواد الثقاب..فهي كثيرة، لكنّه خاف واختار ان يذهب الى الشباب البائعين على أرصفة الطريق، لأنه يعلم أن كتبهم رخيصة وفيها من الحلال ما فيها.. وذلك كي يزيد من حصيلة كتبه ويضمّن اختياره لما طمح له..

بدأ ماثيو يقلّب الكتب ليختار ما يشتريه، وكان بجانبه شابٌ تقريبا في نفس عمره كان يهوديا وكانت تبدو على ملامحه ملامح شخص مثقف وكأنه متهيّأ أيضا للأسبوع القادم، والبهجة على فمه مجعّدة، يبدو خفيفا لعوبا وبارد الضمير
بلا شك أنه سيشارك لأنه يهودي وهذا منْصب يفتخرون به هم أيضا..
سأل ماثيو ذلك الشاب:
- مرحبا، هل ستشارك في المسابقة التي يصدرها قانون القارة في كل سنة من ثامن شهر سبتمبر
- آه..مرحبا، بالطبع سأشارك، فأنا مثقفٌ وأبي يشجّعني دائما على أن أصبح كاهنا في المعبد أو أن أكون متخرّجا باهرا من مدرسة البرهنة كما تعرف..

في لحظات التكلم على أبيه تذكّر أبوه الذي كان غير متفاهم معه بذكرى شبه حزينة ولكن ما عمل عليه عقله هو أنّه سيعيقه شخص في خطّته التي الآن أصبحت

صعبة، فلقد وجد شخصا سيعتبره خصما مستقبلا، ونسيت أن أخبركم أن عود الثقاب يشتعل..

بعد حديث بين كتابين سيكونان خصمان بعد أسبوع، هطلت أمطار رعدية هتّانية تتناهى إليها الأذن بصوت طرقات حبّات المطر العذبة التي تشكّل إيقاعات وموسيقى طبيعية دون آلات طرب، وفي هذه الشتاء عصفت الرياح وسمع المُنصت في دويّها ألف حكاية، ولمعت البروق في السماء فيرى الناظر عظمة الخالق وإبداعه عندما يشُقُ البرق سواد الليل التي كانت قريبة الحلول، وصدحت الرعد وتتزاحم الغيمات لتزفّ الحياة إلى الأرض بما تجود به من أمطار فيها الحياة، هذه الشتاء تحلّقت بالأهل حول مواقد النّار ليتبادلو الأحاديث، ويُعمر والسهرات العائليّة فيحلو السمر وتتقارب الأفئدة وتحيا العلاقات من جديد، وماثيو مختبئٌ تحت أحد شراع الدكاكين المغلقة، وبينما الكلّ في عقر داره وماثيو وبعض المتشرّدين في الشارع ظهر طفلٌ صغير جدّا في نفس الشارع الذي كان فيه ماثيو، فلمّا أبصره ذهب إليه مسرعا فيحمله ويعود الى نفس المكان الذي كان مختبئا فيه.

أراد ماثيو أن يسأله عن اسمه وبيته او أي شيء يدل من أين جاء كي يردّه من حيث أتى إلا أنّ الطفل صغير جدا ولا يتكلّم، فلبثوا معا مليّا حتّى جاءت امرأة تبحث عن ولد صغير، كانت تقصد ذلك الذي التقى ماثيو بالتأكيد، كانت تضع مكياجا أسودا يميل إلى البنفسج قليلا، كما أن شعرها طويل وكذلك أظفارها قليلا..كانت تشبه مصاصي الدماء بعض الشيء.

قال ماثيو في نفسه:

-أين رأيت هذه المرأة يا ترى من قبل، كأنني التقيتها سابقا..

فقال لها:

- لقد وجدت هذا الولد هنا تائها، أهو ولدك؟

- آه نعم، ابني..أين كنت، ماذا تفعل مع المتسوّلين هنا..

- أنا لست متسوّلا، كلامك فظ جدا..، عليك شكري بدل التحرّش و التنمر علي، فولدك لولاي ما ستجدينه في هذه الشتاء وهذا الليل الذي حل.

-آسفة..، ظننتك أحد المتسوّلين حقا آسفة

- حسنا لا بأس

وبعد التكلم بينهما نطق الطفل الصغير واحتار منه ماثيو، لأنه كلّمه سابقا ولم يرد عليه ولا حرفا، فقال الطفل:

-صحيح يا أمّي أظنّه هو من رآني تائها وجلبني أختبئ معه هنا..

قال ماثيو مندهشا:

-إنه يتكلّم، لماذا عندما كلّمتك لم تجبني..

صمتت الأم والولد ولم يجيبا بشيء..

ولمّا كانا ذاهبان نظرت الأمّ إلى ماثيو وهما منصرفان من ذلك المكان وكانت الشتاء بدأت تهدأ

ماثيو في سرّه:

-أين..أين رأيت هذه المرأة من قبل أين..،

عقلي يقول شيئا لست أدركه

مهلا لحظة.. نعم، نعم إنها هي، تشبه كثيرا تلك الطفلة التي في اللوحة عند العجوز الساحرة، تشبهها كثيرا، لكن ألم تقل العجوز أنها ماتت.. ماذا يحدث

تملّك فضول لا منتهى له عند ماثيو ورغبة شرسة في معرفة قصّة هذه المرأة والعجوز الساحرة، فتبعها هي وابنها خفية وكانا يهمسان فيما بينهما..

مشى ماثيو خلفهما حتّى وصلوا إلى منطقة ترابية تفصل بين طريق المدينة ووجد لافتة مكتوب عليها نيفرلاند وكانت مشطوبة، مما يدلّ على الخروج من مدينة نيفرلاند.

واصلو المسير وماثيو يرقبهما من بعيد، تارة يختبئ وراء الحجر الكبير وتارة يختبئ وراء الشجر، ومن دون انتباه من ماثيو دخلوا غابة كبيرة كانت تبدو متوحّشة، نعم لا بدّ أن تكون تلك الغابة التي سمع المارّة يتحدّثان عنها..

حيث يوجد تلك العائلة الغريبة..

عرف ماثيو أن تلك العائلة هي عائلة هذه المرأة وابنتها..، " لكن لماذا يقولون عنها عائلة غريبة ومتوحّشة"، لقد عاملاني بطريقة لا بأس بها، أم أنّ استعمالهم للسحر أدّى إلى تلك الأحاديث المبالغة.

وبينما هم يمشون كان الشاب خلفهم نطقت المرأة:

-لماذا تتبعنا أيها المتسوّل؟ ألست من هنا، ألم تسمع عنّا..نحن نقتل أي شخص يدخل غابتنا

حبطت أفكار ماثيو وارتعش من الخوف وخرج من وراء الشجرة وقابلاهما وقال:

-أوّلا لست متسوّل، بل أنا باحث..، وثانيا أنا أعرفك ، لقد قابلت أمّك الساحرة، أليس كذلك؟

-أمّي؟ هل هي حيّة؟ أين وجدتها وهل هي ساحرة أيضا؟

لم يفهم ماثيو ما يدور حوله، لكن كان يعرف أنّ الطفلة ماتت قبل أن تصبح والدتها ساحرة، فأخبرها بذلك فقالت:

-من المؤسف أن تكون هذه الصدفة هكذا، كلانا ساحرتان

ماثيو في سرّه:

-كان يجب عليّ ان لا آتي إلى هنا، فأنا في عداد الموتى..

لكن المرأة نسيت أمر قتله وأرادت منه أن يحكي لها عن أمّها وأين هي، حكى ماثيو قصّته كاملة للمرأة وذلك في المنزل المخيف الموجود وسط الغابة وعلاقته مع الساحرة العجوز.

*** * * * ***

بدأ الليل القاتم يحل وماثيو خائف وأكبر همّه أخذ كتاب التوراة والانصراف من هذه القارة الغريبة لليهود. أراد الانصراف لكن منعته المرأة وأرادت أن يبقى عندها الليلة ويذهب غدا لأنه ليس هناك مكان يلجأ إليه، رفض ماثيو ذلك لكن أجبرته بعينيها وضحكاتها المخيفة فقبل ذلك آخذا ليلته بلا نوم..

في الليل داخل الغرفة، وماثيو لم ينم.. رفض ذلك لأنه لا يدري مالذي سيحدث في بيوت السحرة، الأمر مخيف كثيرا..

سمع الأخير طرقات على بيت غرفته والوسوسة تزداد وسمع أصوات على نافذته

وكان يسمع تلك الطرقات أكثر من عشرين دقيقة، فأراد تجاهل ذلك بقراءة كتاب ينسيه بعض الوساوس، لقد سمع طرقات الباب مرة أخرى بصوت أكبر الآن قليلا نهض وهو ممسك بكتابه الذي يقرأه كانت رواية "الكونت دي مونت كريستو" فتح الباب فوجد فتاة بمثل عمره تقريبا، كانت ابنة المرأة والتي سمع عنها من قبل

كانت لطيفة عن أمّها قليلا ولا تبدو عليها ملامح السحرة المخيفين، كانت عيونها كبيرة ومدوّرتان وحرّكت فمها وقالت: - "وقفت أكثر من ثلاثين دقيقة وأنا أطرق الباب، أكنت نائما " ..

والآن أدرك الشاب أن تلك الأصوات كانت تنبعث من هذه الفتاة

وارتاح قلبه قليلا وارتخى سريره و ازدادت أوراق روايته الإنتقامية وقال:

- كنت نائما لم أسمعك جيّدا أعتذر، أتريدين شيئا ما

- لا، لا أريد شيئا فقط أردت الاطمئنان عليك، ظننت أنّك تخاف من هذه الأمور.. -

فلمحته حاملا ذلك الكتاب وقالت:

-يبدو أنّك تحب القراءة

- نعم كثيرا..، أريد المشاركة في تلك المسابقة التي ينصّها قانون هذه القارة

-آه جيد لك، يمكنني مساعدتك بأن أعطي لك كما تشاء من الكتب او الروايات، فأنا

أيضا قارئة ولدي الكثير من الكتب.

سعد ماثيو بهذا الخبر لأنّ القرّاء يتفاهمون فيما بينهم وأيضا يمكنه الاستعارة منها كتبا تساعده في رفع عدد الكتب والروايات التي يقرأها وبالتالي يستطيع الفوز بالمسابقة وأخذ الكتاب والانصراف إلى القارة الموالية وصولا إلى قارة

ساراتشي التي رآها في حلمه الذي قال له أنّ هذه القارة هي القارة المفتاح لعودة عالم ديبيتوم متّحدا بدين واحد صحيح آمن وماثيو هو الذي سيجعله متّحدا بطريقته التي لا يعرفها أحد الآن..

مرّت ساعات الليل كلّها وصولا إلى الفجر وهما يتحاوران على الكتب والروايات ويقرؤون الرواية التي كانت عند ماثيو " الكونت دي مونت كريستو" والبهجة غامرة أنفسهم ومن الجيد أنهما يتفاهمان فيما بينهم، ولكن تبيّن أنّ الفتاة أكثر قراءة للكتب من ماثيو، كانت كأنّها نابغة في القراءة، كما أنّ ماثيو قال لها مدّعيا أنّه يهودي وهي تعرف قصّته وذلك لمّا سمعته يتكلّم مع أمها:

- لماذا لا تشاركين في المسابقة فتستطعين دخول المعبد كما تشائين فتقرئين وقت ما شئت من التوراة والكتب المقدّسة، فلا أظنّ أنّ هناك أحدٌ سيكون ندا لك.

ردّت عليه:

-في الحقيقة نحن لسنا يهوديين ولا ننتمي إلى دين.. أنا أتبع ما وجدت عليه أمّي وأبي وللأسف نحن عائلة ساحرة، ويعتبرونني ساحرة رغم أنّي لا أجيد ذلك بعد، كما أنني لا أملك أصدقاء أبدا فنحن معزولين عن التجمّعات للأسف..

حزن ماثيو على كلامها المغرق المنعزل وسألها:

-وهل يمكنك الذهاب أحيانا إلى المدينة المجاورة

-لا، وأمّي إن سمعت أنني خرجت من الغابة واتجهت الى المدينة فستعذّبني عذاب السحرة القاسي الذي لا أطيقه، كما أنني جربته من قبل عندما كنت صغيرة، أمّي لا ترحم أحدا..

انبهر ماثيو من هذا الكلام القاسي وها هو الصبح ظهر وبدأ كل من في العائلة بالاستيقاظ والنهوض فانصرفت الفتاة اللطيفة التي لا تعتبر ساحرة بعد

وقبل ان تغادر سألها ماثيو عن اسمها فأجابت:

- إسمي " إيلا " وماذا عنك

- "ماثيو"

*** * * * ***

جاء الصباح وبقيت ستة أيام فقط على المسابقة، فعلى ماثيو أن يأخذ كتاب التوراة راغبا في تجربة ستحدث في آخر الرواية ستدلّه على الدين الصحيح..

قالت المرأة والدة إيلا لماثيو:
-يمكنك الذهاب أيّها الشاب، لن أقتلك لقد أفدتني في أمور كنت أبحث عنها (تقصد قصّة أمّها العجوز) كما أنني أعدت لك المقابل بمبيت ليلة في منزل بدل في الشارع كالمتسوّلين

ودّع ماثيو العائلة بعد شكرها وكما ودّع إيلا المثقّفة بشكل خاص بعدما تعرّف عليها ليلا وقال لها حزينا:
-هل ينبغي أن يكون هذا هو الجزء الذي ننفصل فيه..
-ربّما..إذا شاء الكاتب ذلك..
ليته يجعلنا نلتقي مرة أخرى..

آه، يبدو أنّ ماثيو أعجب بها.. وأعجبت به أيضا..، لقد أخبرتكم أنّ القرّاء متفاهمون فيما بينهم فإذا الفتى القرّاء التقت حسن العقول وأخيارها

لكن تبيّن أنّ " إيلا " أفضل من ماثيو بعشرات المرّات، إنّها أحسن منه وربّما أحسن من كلّ القرّاء في مدينة نيفرلاند وكلّ القارة..

* * * * *

مرّت خمسة أيّام و ماثيو يثابر من أجل اختياره من العشرة ومن أجل الفوز من بينهم، وكان يفكّر ب " إيلا " أيضا، لقد أعجب بها من أدبها وعقليتها اللطيفة وهاهو بقي يوم واحد من اجل اختيار العشرة من بين الكثير من اليهوديين المشاركين فكلهم يريدون الحرية في دخول المعبد وقراءة التوراة وقت ما يشاؤون.

أراد ماثيو أن يريح عقله قليلا ومتمنيّا أن يكون من العشرة وبعدها يجري المسابقة فيكون هو المختار إن كان القدر والحظ ما ترجّاه.
قصد أحد المزارع في منطقة قريبة من المدينة، كان هواؤها رائعا ونسيما ولا سيما كان الشاب تعبانا، ها هو الآن يريح نفسه وعقله بهذا الجو اللطيف، جلس تحت شجرة كبيرة الأوراق واسعة الظلّ فلمح راعيا يرتدي لباسا يغطي وجهه قليلا يشبه ما يغطّي وجوه قبيلة الطوارق التي نعرفها.
كان مع أغنامه ذات الصوف الكثيف..
هذا المنظر ذكّره بأغنامه المسكينة التي تركها عند والده الذي لن يهتمّ بها أبدا، لقد جاءته ذكرى مؤلمة قليلة فتذكّر كذلك أمّه " كلارا " المسكينة.

مرّت عليه الكثير من الذكريات منها الحزينة ومنها السعيدة مع أغنامه وعائلته في قارة جيسوس خريستوس ذات الديانة المسيحية.

* * * * *

طلع الضوء الأبيض في سماء يوم الثامن من شهر سبتمبر ونهض جميع الناس نحو ساحة المدينة الكبيرة من أجل اختيار العشرة الذي سيتنافسون في المسابقة وها هو ماثيو في الساحة مع جميع النّاس ينتظر الرجال القائمين على هذا القانون ومنهم كهنة ونسّاخ المعبد.

رأى ماثيو الكثير من النّاس المشاركين، قال في سّره:

-أكل هذا النّاس من أجل دخول هذا المعبد، يبدو أنه دين مقدّس جدا رغم صغر قارته سأرى في الأخير إن كان هؤلاء الناس على صواب أو هم يضيّعون وقتهم بعبادة..

وما لبثوا إلّا قليلا نواحي الساعة الثامنة صباحا حتّى وضع المسؤولون طاولات في كل أرجاء الساحة ويقعد فيها مسؤول ويستجوب القارئ المشارك عن حجم وعدد الكتب التي قرأها..، كان ماثيو قد استجوبه أحد الكهّان العظماء في تلك المدينة كما أنه رأى الكثير من المشاركين الذين لديهم خبرة في الكتب، وأبصر ذلك الشاب المثقف الذي التقى به سابقا عند بائع الكتب على الرصيف، كان مبتسما تبدو عليه صفات النجاح..

وفي نواحي العاشرة كان قد أكمل النّاس هذه المشاركة واختار المسؤولون العشرة الذين سيخوضون المسابقة، فتقدم أحد المسؤولين إلى المنصة وقال:

- الآن سأنطق أسماء الأشخاص الذين سيخوضون المسابقة مساءً على الرابعة عليهم أن يحضروا هنا..

نطق المسؤول المنظّم الأسماء واحدا تلو الآخر حتّى وصل إلى الاسم الثامن ولم ينطق اسم ماثيو بعد، فقد الأمل وسار إلى الوراء وكأنّ عمله الذي بدأه سينتهي، ولكن استبشر بعد سماع اسمه لقد كان اسمه العاشر بينهم، -" آه أيّ حظ أمتلك "..

*** * * * ***

إنّها الساعة الرابعة مساءً و ستجرى المسابقة بين العشرة الآن..
كانوا واقفين في مقدّمة الساحة حيث وضعوا المنصّة، وهم سبعة رجال وثلاثة نساء، ستبدأ المسابقة وماثيو معلّق آماله على هذه المسابقة التي من خلالها يأخذ كتاب التوراة من قارة جوداي اليهودية.

أمر الكاهن " رو " والحاخام اليهودي المتسابقين العشرة أن يجلسوا في الكراسي لبدأ المسابقة ولكن أوّلا سيخبرونهم كيف ستجرى وماهي قوانينها..

صعد أحد الكهّان على المنصّة فوق حجر باه كان يبدو من أحجار ملساء باردة ترقّ لها الأقدام وأذّن للجمع والمشاركين العشرة:

-" الآن سأخبركم كيف ستجرى المسابقة.. ، أوّلا على الفائزين الجلوس على الطاولات في المنصة وكتابة عناوين عشرة كتب فقط على الورقة الخضراء الموضوعة في الطاولة..
وثانيا، سيأتي الكاهن " رو" ليأخذ الأوراق ويرى الكتب ويستخرج منها الأسئلة التي ستسألون عنها، ومن أجاب على الأسئلة انتقل للمرحلة التالية ومن أخطأ سيرسب.

بدأت المسابقة والمشاركين كتبوا عناوين الكتب في الورقة..، وبعد الكتابة أراد ماثيو أن يذهب للحمّام فاستشار أحد الكهّان فسمح له بذلك، فذهب بسرعة وعاد والآن الكاهن رو يسأل واحدا تلوى الآخر على مواضيع الكتب وبعض الأحداث فيها، ومن حسن حظّ ماثيو أنه كان يسأله عن رواية " الكونت دي مونت كريستو" التي قرأها مع إيلا.

أجاب ماثيو على الكلّ الأسئلة إجابات صحيحة وها هو ينتقل إلى مرحلة أخرى، وقد رسبت فتاة ورجلان في المرحلة الأولى وبقي ماثيو وأربعة رجال وفتاتان إلي المرحلة التالية..

في المرحلة التالية سأل الكاهن رو ماثيو:

- إعطني جميع شخصيات رواية مزرعة..

لم يكمل الكاهن كلامه بعد وفرح ماثيو كثيرا، " نعم سيسألني عن رواية مزرعة الحيوان للكاتب جورج التي قرأتها سابقا في بلدي والتي كتبتها في الورقة الخضراء " فأكمل الكاهن:

" مزرعة الدموع ".. .

لقد نسي ماثيو أنّ هذه المسابقة للنوابغ الذين يقرأون كل أنواع الكتب، من إنجليزي، يوناني، عربي، إغريقي..، فهو لم يقرأ كتبا للعرب في حياته من قبل وها هو الآن الكاهن يسأله عن كتاب عربي " مزرعة الدموع " الذي لم يسمع به من قبل،..

عجز ماثيو عن الرد.. فقال حائرا:

-لكنني كتبت في الورقة الخضراء " مزرعة الحيوان " لماذا سألتني عن كتاب آخر؟

ردّ الكاهن:

-لا، أنظر بعينك ماذا كتبت

فأراه الورقة الخضراء الخاصّة به فوجد حقّا أنّه كتب "مزرعة الدموع"، لكن ماثيو لم يكتب ذلك، من الذي كتبها؟.. ، كما أنّ ماثيو وجد طلاء الماحي على كلمة الدّموع ممّا يدلّ على أنّه هناك شخص استبدل تلك الكلمة من "حيوان" إلى " دموع ".. ، في تلك اللحظات نظر ماثيو باتجاه المشاركين ووجهه مقابل لوجه ذلك الشاب الذي التقى به في الرصيف يشتري الكتب عند البائع الأشقر، وجده يضحك ويبتسم، كانت ابتسامات خبيثة، " لا بدّ أنّه هو من استبدل الكلمات"

فلم يجد سبيلا غير الخسارة، فبدأ وكأنه لم يسمع كلام الكاهن جيّدا وبدأ يذكر شخصيات رواية مزرعة الحيوان، فكرر الكاهن السؤال وصمت ماثيو وسكت سكوتا طويلا، فتجاهله الكاهن و اتجه نحو الرجل الثاني..

عرف ماثيو أنّه خسر لا مجال للفوز الآن، فلم يجب على أي سؤال، فالسؤال الأول عجز عنه وأدرك أن ذلك الشاب كان سبب خسارته والآن ها هي خطّته مسحها غبار إدّعى أنّه مثقفٌ، غضب ماثيو وصرخ في وجهه:

-أنت من استبدل عنوان هذه الرواية أيّها الأحمق.. أليس كذلك؟

نظر الجمع الغفير إلى ماثيو والكهّان والحاخام أيضا وظنّوا أنه يكذب ومجنون يدّعي أنّه قارئ، فنقطع أمل الشاب الباحث ممّا كان سيفعله..

انتهت الجولة الثانية وخسر ماثيو وبعض المشاركين وبقي ثلاثة مشاركين

فقط ، منهم تلك الفتاة التي أبصرها ماثيو مغطّية وجهها برداء وذلك الشاب الغشّاش ورجل يبدو عليه النّجاح.

انتقل المشاركين إلى الجولة الثالثة والتي ربما ستكون الأخيرة أو ما قبل الأخيرة وبدأت الأسئلة تطرح على الثلاثة المتبقّيين والفتاة المتغطيّة تجيب بلا توقّف إنّها سيدة المسابقة، وذلك الشاب أيضا يرد علىّ الأسئلة بلا توقّف بابتسامته التي تغضب ماثيو المشاهد الآن من تحت المنصّة مع الجمع الغفير، والرجل الآخر بارد الأعصاب في الأسئلة وهادئ في الأجوبة...
تواصل الحال مع الأسئلة وكّلا من الثلاثة مثقفّ وقارئ بارع..

*** * * * ***

انتهت المسابقة أخيرا ويبدو أنّ الفائز يستحقّ الفوز حقا لبراعته في الأجوبة وصدقه في القراءة وما استفاد منها..
في هذه الأثناء لقد تبيّن الفائز، إنّها تلك الفتاة متغطّية الوجه البارعة نرجسية الصوت، كلّية القداسة، ممشوقة القوام، متناسقة الأعضاء، ومع ذلك كان يبدو من الرّقة بحيث تقوى نسمتها التي لا نراها من خلال الغطاء الذي تغطّي به وجهها على تحريكها، غير أنّها كانت ثابتة راسخة، كان صوتها جميلا وحده يؤكّد أن ملامحها جميلة، مهيبة، رقيقة، لكنّها لا توحي بالرهبة التي توحي بها ملامح سادة الأرض

في هذه الأثناء تفرّق كلّ الجمع والمشاركين ومنحوا للفتاة بطاقة تمكّنها من الدّخول والخروج من المعبد كما تشاء وأعطوها كلمة تعتبر سريّة للدخول

من أجل الحفاظ على السرّية ومعرفة إن كانت قد سرقت البطاقة منها.

في حين إكمالها الحديث مع الحاخام والكهنة توجّهت مباشرة نحو ماثيو الذي كان حزينا بعض الشيء ومتجها تائها لا يدري طريقه، ربما كانت وجهته هي القطار، ربّما أراد الرحيل إلى القارة الأخرى..

ذهبت وراءه وقالت له:

- ما بك يا ماثيو؟ لماذا هذا الحزن..

لم يدر رأسه إليها ولم يعرف من يتحدث إليه قط وأكمل ماشيا وهي وراءه وقال:

-أنا لست حزينا أبدا بل سعيد لأن هناك من فاز بهذه المسابقة بجدارة وليس بالغشّ مثل ذلك الشاب الغشّاش، لو كان الأمر بيدي لأبرحته ضربا..

فردّت له:

-ماثيو... ما تعجز عنه الكلمات، تحكيه الملامح..

أنت حزين لهذا أعلم، استدر إليّ وأنظر من أمامك..

استدار ماثيو وكأنّ سهام الدهشة أصابت عيناه وسالت منها دم التوقّعات وصرخ:

-" إيلا " ..؟

ماذا تفعيلين هنا..أأنت الفائزة صاحبة الغطاء؟

-نعم

-لكن مالذي تفعلينه، ألم تقولي أنّ هذا ممنوع عليك ولو أنّ أمّك أدركت هذا لعذّبتك؟

- في الحقيقة..نعم، عرفت أنّك لن تنجح وأردت أن أساعدك فارتديت هذا خشية أن تراني

أمّي هنا فتعذّبني وها أنا فزت وسأساعدك الآن في أن أجلب لك كتاب التوراة وتأخذه معك وتفعل ما بدأت عليه أيها الشاب الباحث..

في تلك اللحظات شكر ماثيو الفتاة إيلا كثيرا وغمرته فرحة لا متناهية لها وقال في سرّه:

-أشكرك يا رب لا بدّ أنّك تسهّل لي الأمور وأني على الصّواب.. فشكر إيلا أيضا وأخبرته أنّها ستلتقي به غدا لتحضر له كتاب التوراة فوافق واستبشر بها لمساعدتها الغير متوقعة وكما أنّه صنّفها من أحسن وأفضل الأشخاص الذين التقى بهم في حياته.

بعد الفرحة التي صدرت من إيلا التي شُفيت ماثيو من جروح حزنه التي سببتها له الخسارة، ولكن هناك أمل من مساعدة إيلا له، لقد كانت لطيفة حقا، استمعت لكلام ماثيو جيدا في بيتها و أدركت أنّه لن ينجح فقط من كلامه..، إنّها ثاقبة الإدراك و الحسّ، كما أنّها قارئة ومثقفة عن باقي النّاس، لكن ماثيو غالبا ما يتساءل في نفسه لماذا عائلتها غريبة..

*** * * * ***

لمّا حلّ الليل الأسود في المدينة وكان بعض النّاس مازالوا في الشوارع وكهّان المعبد والنسّاخ والحاخام أيضا، دخلت وساوس وشكوك لماثيو عن قارة ساراتشي وقال " ربّما ستكون اليهودية هي الدين الصحيح وربّما سأنتمي إلى هذه القارة (جوداي) و ربّما ذلك الحلم الذي راودني ما هو إلّا حلم زائف" فأراد ماثيو أن يستشير الحاخام عن الديانة اليهودية عساها تكون الديانة الصحيحة..

ماثيو:

" توجّهتُ نحو المعبد واتصلت بالكنيس هناك وطلبت منه أن أُقابل الحاخام لأسأله بعض الأسئلة وقلت له: لست متأكدا ولكن أعتقد أنني ربّما سأكون يهوديا لأنني لا أؤمن بعيسى أنه هو ابن الله وأنتم تشاركونني نفس الفكرة كما تعلم، أيمكنكم أن تشرحوا لي ما تؤمنون به لأتمكّن من الانضمام إليكم ربّما، فسأل هل أمّك يهودية؟ فقلت لا، أمي ليست يهودية، فقال لا يمكنك الانضمام إلينا إذا..، ثمّ فكّرت: الخالق يريدني أن أعبده، لماذا قد يقول إذا أنني لا أستطيع أن أكون من الشعب المختار إن كان هناك إله حقيقي.. لذا لا بدّ أنه لا يوجد إله لهؤلاء اليهود.. وتخلّيت عن الأمر حينها، وفكّرت أنّني على خطئ كبير إذا، فقط عليّ أن أكمل ما بدأت عليه وأرى ما سيحدث" .

وأكمل أيضا:

" بما أنّني أنا من تجنّبت المسيحيّة واليهوديّة، فهي من تجنّبتني وكلاهما يحتويان على قوانين غليظة غير متناسقة بقيت قارة واحدة يمكنني الاعتماد عليها ربّما.. هي قارة ساراتشي قارة الدين الإسلامي التي سمعت أبي يقول عنها يوما أنّها لا تملك أيّ قانون

تنصّه القارة، ولكن تذكّرت أنّه يجب عليّ أن أجتاز قارة "هيندوويسموس" وكذلك قارة "بوديسموس" ذات الديانة الهندوسية والبوذية واللتان لا أتقرّب إليهم أصلا وأدري أنهما ديانات زائفة، لكن هي طريقي وعليّ التفقّد.."

*** * * * ***

الفصل الثالث

"قارة هيندوويسموس" و "قارة بوديسموس"

بعد التخلّي على قارة جوداي التي كانت مملوءة بالقوانين وبعد تعرّف ماثيو على إيلا الفتاة اللطيفة التي ساعدته في إعطائه كتاب التوراة بعد فوزها في المسابقة حيث سمح لها ذلك دخول المعبد والخروج منها كما تشاء وّأخذت كتاب التوراة قاصدة به ماثيو الذي يريده، فوضع الأخير الكتاب في محفظته الجلدية السوداء وخرج ماثيو من القارة ووصل إلى القارة التي تحتها في الجنوب الغربي..

قارة " هيندوويسموس "..

أديان الهند من أقدم الأديان التي ظهرت على وجه العالم والديانة الهندوسية هي أقدمها على وجه الخصوص حيث تشكّلت قارة الهيندوويسموس انطلاقا من الهند التي تأخذ تقريبا كل مساحة القارة وهذه القارة تعتبر أصغر قارة من بين القارات الخمس كما نعلم وكردود فعل معارضة للهندوسية أو كحركات إصلاح دينية للهندوسية ظهرت البوذية التي هي في قارة بوديسموس التي كانت أصلا في هيندوويسموس أي تشكّلت البوذية بعد الهندوسية انطلاقا منها وكما ظهرت أيضا الجينية فتشكّلت كقارة صغير فاعتبرت جزيرة، وحالها كحال كلّ ديانة شبه منقرضة ولكن مع الوقت انقرضت هذه الجزر ذات الديانة الجينية والطاوية والكونفوشيوسية والسيخية وغيرها فبقيت الخمس القارات فقط.. .

* * * * *

دخل ماثيو مدينة تسمّى " أكولا " فمن حسن حظّه أنه وجد لافتة مترجمة للغته فعرف اسمها، وهو لا يفهم لغة الهند تلك، كانت غريبة نوعا ما، فحتّى لو أردت تعلّمها سيصعب عليك ذلك حقا، فهي ليست لغة واحدة وهي متعددة جدا.

مشى ماثيو في شوارع هذه المدينة التي كانت تبدو له زنبقية ورائعة، لقد كانت كثيفة الألوان ومتعددة ويأمل أن يلتقي شخصا عاقلا يستطيع أن يفهمه لكي يستشيره على مكان المعبد ليلقي عليه نظرة ويرتحل، وما لبث إلّا قليلا حتّى لمح رعيا في المدينة مع أغنامه، أمر غريب قليلا بالنسبة لماثيو فكيف للرعاة أن يتسكّعون بأغنامهم في المدينة والحضر فأراد ماثيو التكلّم معه لكي يسأله لكن الراعي تجنّبه ولم يتكلّم شيئا ولاحظ ماثيو أنّ هذا راعي كان يرتدي تقريبا نفس ملابس الراعي السابق الذي التقى به في القارة السابقة في " جوداي ".

مشى الأخيرين في اتجاهين متعاكسين و الراعي يغطّي وجهه وينظر خلفه إلى ماثيو ويمسك بالوشاح الأزرق على وجهه كي لا يسقط منه، فعين على ماثيو وعين على أغنامه كثيفة الصّوف، وذلك ما لاحظه ماثيو في الأغنام أيضا، لاحظ أنّها كثيفة الصّوف مثل السابقة التي لمحها في مزارع " جوداي" فلم يكترث له ماثيو لأنه قد تجاهله وأكمل سيره..

مرّت نصف ساعة وماثيو يجوب المدينة ويحاول أن يجد من يفهمه ويسأله فهو لا يفهم لغتهم حتّى وجدا شيخا عجوزا، يضع على يده سوارا ذهبيا يجذب من يراه بزخرفته، وكان يجلس كالمتسوّل جلسة التربّع ويمدّ يديه وواضعا لوحة مكتوب عليها " بائع الحكمة " بثلاث لغات، الهندية، الإنجليزية والعربية..

فلم يرى الشاب اللوحة وأراد التصدّق على الشيخ ببعض القطع عساها تشتري له خبزا، فلمّا أعطاها له كاد أن يذهب ولكن الشيخ استوقفه قائلا باللغة الإنجليزية:

- لا تبدو من هنا أيّها الشاب، أنت مسيحي بلا ريب، أليس كذلك؟

هنا تطمأن الشاب ماثيو كثيرا لأنه وجد من يستطيع التحدّث معه وقال:

-نعم أنا من قارة " جيسوس.." ولكن لست مسيحي كما تعتقد..

- آه حسنا أتريد حكمة إذا..

- ماذا تقصد بحكمة، أنا تصدّقت عليك وها أنا ذاهب، لكن عليّ أن أسألك عن مكان تواجد المعبد أوّلا..

- يبدو أنّك لم تقرأ اللافتة التي أمامي هنا..، أنا بائع الحكم، وبما أنّك أعطيتني هذه القطع سأعطيك حكمة ما تناسبها.

- آه لم أرى هذه اللافتة حقا، لكن نيّتي التصدّق عليك في الحقيقة

ففهم ماثيو الجملة لأنها كانت مكتوبة بالإنجليزية التي يفهمها جيّدا مقارنة مع الهندية التي لا يفقه فيها حرفا واحدا، لكن لقد رسخت في ذهنه تلك الكلمات التي كانت " غيان كي فيكريتا " والتي تعني بائع الحكمة، واللغة العربية يعرف منها بعض الكلمات فقط، لا يهمّ ذلك ما داما أنّه فهمها

- لا أعمل بالتصدّق سأعطيك حكمتك لذا استمع لي..

نظر الشيخ في عيون الشاب الباحث وكأنه يفهم ما بداخله وقال بصوته الحكيم:

" لا تستمع إلى ما يقولونه، بل اذهب لترى.. "

ماثيو في نفسه :

مهلا.. لقد سمعت هذه من قبل من العجوز كيليون كاثكارت تقريبا في قارتنا، هو من أمرني بعدم السماع ويجب البحث..

" يبدو أنّ هذا حقا يبيع الحكمة وهو صادق في قوله "

شكر ماثيو الشيخ على الحكمة وعندما سأله عن مكان المعبد ثمّ دلّه على المنطقة التي وصفها له بدقّة كي لا يخطئ و يتيه في المدينة ورحل.

*** * * * ***

قصد الشاب المعبد كما وصف الشيخ المتسوّل المجهول للهويّة فوجده حقا وكان كبيرا بعض الشيء وفيه رؤوس تماثيل في أعلى المعبد وكان فيه العديد من الطلاءات الملوّنة كقوس قزح، حقيقة هي تطرد من يراها..بلا نقاش

تقززّ ماثيو لهذا المعبد كثيرا لكن دخله ليستشير عنه ويرى ما في جعبة الهندوس

وكتبهم المقدّسة لهم وعقائدهم..

دخل ماثيو المعبد فوجد الكاهن على الباب يبتسم لمن دخل وهو ماسك بعصا طويلة وكان أصلعا لدرجة أنّ رأسه يلمع لضوء الشمس والمصابيح، فابتسم له ماثيو ودخل. ولحسن حظّه أن الكهّان كانوا يجيدون الكثير من اللغات لهذا يستطيع الشاب أن يستشيره..

دخل ماثيو ونادى ذلك الكاهن وبدل النقاش بينهما حيث سأل ماثيو ذو الشعر الأسود المبعثر:

- "مرحبا أيها الكاهن، في الحقيقة أنا لست من هنا ولست هندوسيا لذا فكّرت أنه يمكنني الانضمام إليكم كما تعلم.." ، فأكمل ماثيو بالسؤال:

-لماذا يوجد ذلك الرمز والأشكال المربعة عند مدخل الباب وماذا تعني؟

فأجاب الكاهن وكأنّه اشمأز من سؤال الشاب وأجاب:

- المعبد الهندوسي بيت رمزي، وهو مجلس الألوهة وجسمها. وهو بناءٌ مصمّم ليجمع الإنسان والآلهة معًا، باستعمال الرمزية للتعبير عن أفكار الهندوسية ومعتقداتها، ورمزية المعبد الهندوسي وبنيته مستوحتان من التراث الفيدي، ويستعمل فيهما الدوائر والمربعات. تمثل هذه الرموز تكافؤ العالم الأكبر والعالم الأصغر والعَوْد فيهما بالأرقام الفلكية، وباستعمال موافقاتٍ مخصوصة مرتبطة بجغرافية المكان وارتباطاته مع الآلهة

- ماذا تقصد بالتراث الفيدي..؟

-بعض الهنود يرفضون اسم الديانة الهندوسية ويجعلونها "الفيدا" أو "الفيدي" و ذلك للإشارة إلى النصوص الديانة القديمة المعروفة باسم " فيداز "والاسم فيدا هو اسم

غربي والنطق الشرقي الأصح هو " ويدا " وبالتالي نجد من يطلق على الهندوسية " الويدية " أو " الفيدية "، وقلت لك فيدا لأني حسبتك من الذين يدركون ذلك..

- آه حسنا..وماذا تحمل هذه الفيدية في جعبتها ؟

- الفيدا ليست كتابا واحدا فقط، بل هي مجموعة من الكتب المقدّسة..آه نسيت أن أخبرك

أنّ هناك آخرون يطلقون على دينهم اسم " ساناتانا دهارما " والذي يعني " القانون الأبدي " في إشارة إلى عقيدة التناسخ الأرواح المعروفة عندنا.. ومن أسماء الهندوسية " الديانة أو الطريقة الآرية " أو " آريا دهارما " والآرية للجنس

الآري أو الشعوب الآرية التي هاجرت إلى شبه القارة الهندية في الألف الثاني قبل الميلاد و اعلم أن كل الأديان الهند التي جاءت منها أديان أخرى تعتبر أن الديانة الصحيحة عندهم هي الديانة أو الطريقة الآرية وأيضا أحيانا يطلق على الهندوسية اسم " براهمية أو البرهمية " نسبة إلى إلاه الهندوس الأعظم " براهما " .. .

- وماهي العقائد الهندوسية هنا ..؟

- سأقسم لك هذه العقائد إلى ستة أركان رئيسة ..

: الإله، الكون، الروح، الكارما، الإنسان و الخلاص وإن أردت أكثر فابحث في الكتب أو استشير كاهنا آخر يعقد معك جلسة.. .

- من هو الإله في الهندوسية ؟

- بالتأكيد براهما هو إلاهنا وهو الإله الكوني الأعظم في الهندوسية وهو الجميع وهو الحقيقة والضمير، هو اللانهائية أو الأزلية، هو المبدأ الأوّل لنا

- وهل تعرف شكله أو بالأحرى كيف تعبدونه؟

- إنّه هناك في الأعلى، هل تراه..

بمجرّد أن رأى ماثيو ذلك الإلاه براهما حتّى انفجر من الضحك الذي كان غير طبيعي والذي سبب له خجلٌ كبير بين الكهّان والنّاس داخل المعبد فتأسّف عن ذلك للكاهن فسأله:

- بربّك كيف تعبدون هذا الصنم ذو الأربعة أوجه، هل هو يتكلّم أو هل هو يأكل، ألم يكن بشري مثلك من قبل..، إذا أنت تقول أنّك ربّما من كاهن ستصبح إلها..

فاستمر ماثيو بكلام مستهتر للكاهن وأضافا سؤالا مستهزئا بالكاهن:

- وهل لكم آلهة أخرى إذا..؟

فغضب الكاهن من تصرّفات هذا الشاب وقال له :

-إذا لم تلزم حدودك فسأقضي بك في السّجن، لذا استمع واصمت وان لم ترد ذلك فارحل.

تأسّف ماثيو على ذلك وأراد الجواب.. فأكمل الكاهن قائلا:

- من أشهر الآلهة الهندوسية هي أن الإله هنا يعبد في أشكال متعددة حسب حلوله أو تجسّده والهندوسية من قبل تقول : " أنّه بعد أن خلق براهما الخليقة سكن " فشنو " السّماء مع زوجته " تاكشمي " وتاكشمي هي (آلهة الحظ السعيد) و (النعيم المؤقّت)..، ولشدّة عناية " فشنو " بالعالم، ينزل من وقت لآخر إلى العالم متجسّدا في شكل من الأشكال والتي هي فكرة الأفاتار (الأفاتار التي نعرفها) ويمكن أن تكون الحلول في إنسان، بل إنّ بعض رجال الدين عندنا و الزهاد يعبدون على أساس أنّ الإله قد تجسّد او حلّ فيهم ومن آلهتنا:

" فيشنو " إلاه الخير ، براهما إلاه الخلق ، ومن أشهر آلهتنا أيضا الإله "شيفا" فبينما يظهر " فيشنو" في الصورة الإله النافع الخيّر يبدو " شيفا " في صورة الآلهة المدمّرة وهو يظهر في أشكال مرعبة تحيط به أشرار شريرة، يرقص دائما رقصة تدمير العالم.. .

(أساطير)

* * * * *

بعد كلام الكاهن للديانة الهندوسية الذين يعبدون الأصنام متخذين لها أشكالا وتماثيل عدّة وأيضا مصنّفين ذلك على أنّ كلّ إله وخصائصه، خرج ماثيو من المعبد وهو دارك أنّ كلّ وقته ذهب سدا مع كلام فارغ أخرج من كاهن يعتبر نفسه إله أحيانا، فماثيو لا يؤمن بالأصنام والتماثيل وهو يدري أن هذه ديانة زائفة مصنوعة، وكما أخبره الكاهن أيضا أن ليس هناك كتابا مقدّسا لهم بل تمّ تدوين كتب بواسطة كهّان وكبراء المعبد من عندهم ضالين به النّاس.. .

لم يكترث ماثيو للديانة الهندوسية أبدا، لقد استعمل عقله في هذا منذ البداية، الأصنام تبقى أصنام لا تعبد وحالها كحال الأوثان.
في هذه القارة لم يأخذ ماثيو معه أيّ كتاب في حقيبته الجلدية السوداء بل بقي فيها كتابين فقط.. الإنجيل والتوراة..

قرر ماثيو الرحيل بعد تجوّله في المعبد وسماع ما تحكيه ديانة قارة هيندوويسموس وها هو متّجه إلى محطّة القطار مرّة أخرى قاصدا البحر كي يذهب بقارب كما يفعل في كلّ مرّة، ولمّا وصل إلى القطار الأسود الذي كانت تتصاعد عليه أدخنة بيضاء وجد الكثير من رجال الشرطة الذين يرتدون زيّا أحمرا باهيا وقبّعة سوداء وكان بجوارهم ذلك الكاهن الذي كان يقصّ عقائد الديانة الهندوسية وما تحويه من كلمات لماثيو.. .

" يا إلاهي ماذا يحدث هنا، وذلك الكاهن.."

وفجأة هجم عليه كل رجال الشرطة متجهين نحوه "أنت ..أنت" وهو في حيرة من أمره وما الذي قد صنعه، لقد عجز عن الكلام في تلك اللحظة فكيف سيكلّمهم وهو لا يفهم لغتهم سوى كلمتان رسختا في ذهنه وهي " غيان كي فيكريتا " أي " بائع الحكمة " التي رآها عند ذلك الشيخ في اللافتة وهو يدري أنّه لا أحد سيستطيع فهمه وكذلك هو لا يفهمهم غير ذلك الشيخ والكاهن فقط .

إنهم الهنود الحمر..

أدخلوا المسكين الحائر إلى سيارة كانت تبدو من الطراز القديم قليلا، لكنّها جذّابة وهو لا يدري ما يقوله، وكان بجواره ذلك الكاهن فصرخ خائفا وهو يدري أنّه الوحيد الذي يفهمه لأنه كان قد فهمه وتحدّث معه بلغته في المعبد ليشرح له.. فقال:

- مالذي فعلته أنا أيها الكاهن، أيّ ذنب اقترفته؟ أجبني

فقال الكاهن ضاحكا:

- اضحك الآن كما كنت تضحك سابقا في المعبد أيها الفأر..، حضّر نفسك للشواء

- شواء..؟ ماذا تقصد ؟

- إنّه قانون قارتنا أيّها الأبله الحقير، هذا جزّاء ما كنت تتذمّر معي في المعبد، لقد تذمّرت واستهزأت بديننا وأيضا في المعبد والكلّ كان حاضرا وشاهدا.. لذا لا داعي لكثرة الكلام وسوف ترمى في النّار مساءً أنت واثنان آخران مثلك تذمّرا.. .

ذهب شرطة هذه القارة والكهّان والسكّان القذرين إلى وسط المدينة أمام المعبد حيث سيحرقون ثلاثة أشخاص ويرمونهم في النّار ومنهم ماثيو المسكين الذي لم يكن يدري بأمر القانون وقال في سرّه :

- مشاكل..مشاكل.. لماذا يا رب؟ ولماذا في كلّ قارة توجد قوانين تعذيب وقتل.. لقد أدركت الآن أن هذه الديانات كلّها زائفة حقا.. .

وصل الشرطة وماثيو معهم إلى المكان المقصود وهاهم وضعوه في قفص كبير وكان بجواره اثنان آخران وكان الثالث فيهم بالترتيب، وكانت امرأة من بينهم وقال:

- ماذا..ماذا؟ أتسخر منّي..هل أنا عصفور حتّى تضعني في قفص معلّق هكذا..؟

فقال أحد الصُلْعْ:

- أصمت إلى حين حرقك بعد ربع ساعة أيّها المتذمّر الحقير.. .

- ماذا..؟ ربع ساعة..، أنتم هم القذرين، الآن أدركت لماذا الشيخ العجوز " كيليون كاثكارت " يريد توحيد القارات حقا هو على حق، لقد أدرك الدين الصحيح ويريد شخصا يساعده على توحيد القارات لتصبح واحدة آمنة سالمة لهذا أمرني بالبحث..، لكن سأجده وأعود إليه وسنوحّد القارات إن شاء الرب فيارب أنقذني من هذا المأزق.. .

وحين سماع أحد الكهّان العظماء في المعبد هذا الكلام من ماثيو نظر إليه نظرة هادفة وقال بين شفتيه وأذنيه: هكذا إذا.." كيليون كاثكارت "

*** * * * ***

الآن ماذا سيفعل ماثيو المسكين هو في مأزق كبير جدا، أراد الأخير ان يفكّر في حلّ ما.. فلم يجد.

- "هيا ماثيو ..فكّر..فكّر، كيف أخرج من هنا "

لم يتبقى لماثيو والشاب والمرأة بجواره سوى ربع ساعة على رميهم في النار يتعذّبون، وهم في وسط مدينة وأمام معبد وأمام ناس منهم المبتهج ومنهم الحزين يترقّبون ماذا سيحدث، كيف العذاب، كيف التألم، كيف الصراخ، كيف الترجّي..

لمح ماثيو طفلا صغيرا في عمر الحادية عشر، يدعى " ري يو"، برغم أنه معهم الا أنّه لا يشبه الهنود، لقد كان صغيرا ذو شعر أشقر ووجه ناعم أبيض، فكان يبكي ويقول " أمّي..أمّي" لقد كانت المرأة أمّه ولقد كان إبنها، لقد كانت الثانية في التّعذيب بعد الشاب الأوّل وكان ماثيو الثالث بينهم..

ماثيو يفكّر:

" ماذا يجب أن أفعل، هل من طريقة، هل من منقذ، هل من نصيحة، هل من حكمة..، مهلا..حكمة، أجل عليّ أن أصل إلى ذلك الشيخ بائع الحكم عساه ينقذني بحكمته، لكن كيف..؟ ماذا سأفعل، لا يمكنني الفرار.

بعد دقيقة من التفكير نشأ مصباح أصفر يضيء فوق رأس ماثيو:

" لقد وجدتها "

صفّر ماثيو للطفل الصغير الذي كانت أمّه تبكي وإيّاه، فأشار إليه بإحضار ورقة وقلم لأنه لم يستطع التكلّم معه بلغته.. .

فهم الطفل العبقري ما أشار إليه ماثيو فأحضر له مسرعا في ثواني ورقة و قلم ورماهما له عبر فتحات القفص، فأمسك بهما ماثيو ويبتسم ابتسامة الأمل.. وراح يكتب بالهندية ما يعرفه، نعم إنهما كلمتان فقط: " غيان كي فيكيريتا " .
وكتب تحتها كلاما بالإنجليزية داركا أنّ الشيخ سيفهم ذلك لأنّه سبق وتكلّم معه حيث كتب :

" أيّها الشيخ بائع الحكمة، أنا ذلك الشاب الذي كدت أتصدّق عليك ولم أرى اللافتة، تذكّرني جيّدا .. أنا الآن أحتاج حكمة تخرجني من موتي الذي سيحدث في غضون ربع ساعة فقط وأحلف لك أنّي سأعطيك ما تشاء من المال مقابل حكمتك.."

طوى ماثيو الورقة وأعادها للطفل الصغير خفية فسقطت فوق رأسه وفتحها حتّى وجد " غيان كي فيكيريتا " وكلاما بالإنجليزية ففهم كلمتي بائع الحكمة فقط وعرف أنه يقصد ذلك الشيخ في السوق، فأشار ماثيو للطفل بالسرعة بيده، وفجأة طار الطفل بأقدام النعامة ورشاقة اليعسوب نحو الشيخ مباشرة آملا أن تنقذ أمّه وماثيو.

الطفل الصغير في الطريق، النّاس ملتفّة حول الأقفاص تنتظر مرور العشر دقائق المتبقيّة، الراعي ذو الأغنام كثيفة الصوف بين النّاس يرقب شخصا واحدا فقط " ماثيو " والسبب مجهول، الشرطة ملتصقة بالأقفاص، الكهّان أمام المعبد المجاور يرتقبون وينتظرون تأهّب النّار الكبيرة في الجهة المقابلة للأقفاص محاطة كشكل مربّع

* * * * *

مرّت سبع دقائق وبقيت ثلاث فقط..

وماثيو شارد الذهن صامت وعقله: " أين أنت أيها الولد، لماذا لم تحضر، ربّما لم تفهم ما قصدت بالرسالة.."

جاء كهّان المعبد وأصحابهم إلى الأقفاص وأمروا الحرّاس بإخراج الثلاثة من هناك وها هو الجزء الذي يظهر فيه الطفل الصغير من بين الحشد الكبير بين النّاس وبينما ماثيو على وشك إخراجه رمى الطفل الورقة تحت باب القفص مباشرة ولحسن الحظّ لم يرها أحد سوى ماثيو، فالتقطها مباشرة بعد الخروج بيده المقيدتين بطريقة صعبة نوعا ما وأدخلها في جيبه القصير، ومشى به الحارس إلى حيث يرمونهم في النّاس والنّاس حوله يجرون وراءهم بلهفة مترقبين ما سيحصل.

أراد ماثيو بشدّة أن يفتح الرسالة لكنّه لم يستطع، فيده مقيّدة والحارس يمسك به، كان أمل ماثيو فقط في تلك الورقة التي ربّما ستنجيه حكمة فيها منبعثّة من الشيخ المتسوّل وفجأة أمر الكاهن الأعظم " بفكّ قيود الثلاثة وإنّي سأعطيهم موتا آخر لن يتعذّبوا به "

فقال الثلاثة:

- ما هو؟
- بسيط جدا.. ، سأقطع رأسك مباشرة بالسيف ولن تشعر أبدا بالألم، ماذا تختارون؟

وقف الثلاثة الآن في مكان الموت وهم على أعين الناس والجمع فقال الشاب الأوّل باكيا:

- أقتلني بالسيف وخلّصني أرجوك من هذا العذاب

فردّ الكاهن الأعظم للمعبد:

- كنت أتوقع هذا بالتأكيد، كلّكم ستختارون ذلك..، وماذا عنك أيتها المرأة..

في هذه الأثناء استطاع ماثيو اخراج الورقة من جيبه لأن يده حرّة الآن والكهّان مشغولون مع المرأة بالأسئلة فوجد مكتوب ما يلي :

" الحكمة أيها الشاب اليوم سعرها مدفوع ، هل تذكر عندما أردت التصدّق لي..ذلك التفكير بالتصديق هو مال هذه الحكمة، إليك الحكمة " لو خيّرت بين أمرين فاختر أشدّهما "

ووجد تحتها كلمات بلغة أخرى لم يفهمها، حسب أنّها باللغة الهندية وظنّه في محلّه.

لم يفهم ماثيو ما قصده الشيخ في هذه الحكمة وجعل عقله يسير بين ورد عبّاد الشمس قليلا وبين الزئبق وبين النرجس والأقحوان عساه يفهم مغزاها، وما لبث إلّا قليلا فسأله الكاهن الأعظم : وماذا عنك أنت أيها الشاب الثرثار، كيف تريد عذابك، أ بالسيف دون تعذيب أم بالنار الجهنّمية بالتعذيب الموحش، وكانت المرأة قد اختارت بالسيف دون أن تتعذّب فابنها الصغير يشاهد ذلك فكلا الأمرين موحشين.

وفجأة قال ماثيو بثقة كبير، كانت ثقة الأسود وعيون الصقر ومخالب حواجبه كالنسر " أنا أختار النّار "..

فقد كانت هذه هي الرسالة التي كان يريده فعلها الشيخ وماثيو يدري أنّ هذا الشيخ لن يخطئ أبدا، لإنّه عرف أنّه حكيم لا ريب..

تعالت نظرات الجمع والكهّان وأعظمهم واندهشوا من خياره المصدوم، فكيف يريد أن يتعذّب في النّار بينما هناك حلٌ آخر ينجيه من العذاب مباشرة دون إحساس.

وبينما الكلّ مندهش لأمره والطفل الصغير فهم ما قاله من تمتمات النّاس هناك نادى أمّه باكيا: " أمّي اختار النّار مثله، لا أدري لماذا لكن أظنّه على صواب.."
وأيضا بدأ ذلك الراعي يصفّق من بعيد أمام الجدران مع أغنامه وقال بين شفتيه: " أظنّك بدأت تكبر أيّها الصغير.."

وقال الكاهن الأعظم:

- **كما تشاء أيّها الشاب المتهوّر..**

بدأ الموت الآن وهاهم يحضرون الشاب الأوّل وهو يحطّ رقبته على صخرة كبيرة فرشّت دماء كبيرة في ذلك المكان وخاصّة على المرأة المسكينة بعد الفتك به بواسطة الكاهن الأعظم بسيفه الكبير، فصرخت بأعلى صوتها من هذا المشهد ومن ما ستلاقيه فقالت:

- **لا..لا ، أريد النّار.**

فقاطعها الكاهن:

- **لا تبديل للآراء أيتها المسكينة..**

وردّ ماثيو:

- **لماذا لا تبديل للآراء؟، فإنّها ستموت بلا ريب.. هنا أو هناك، والنّار أشدّ من هذا السيف، لذا دعها تختار هي إن كنت رجلا.**
- **آه..حسنا، اختارِ ما تشائين وكما أردت أيها الشاب.**

إنّه وقت رمي المرأة في النّار هي وماثيو معا، إنّه ولدها يبكي بشدة هناك..إنه على وشك بكاء الدم و القذى.. لكن كان يشعر أن هناك شيئا سيحدث مع ماثيو، وفي تلك اللحظة أيضا اختفى الراعي ذو الأغنام الصوْفية.

* * * * *

منهم من هو حزين مثل الطفل الصغير والراعي، ومنهم من هو سعيد يشتاق لمثل هذه الأحداث التعذيبية مثل الكهّان، لقد تم رميهما وقذفهما في النار الكبيرة المربّعة الملتهبة باللون الأحمر والأسود.

النّار تغطّي ما بداخلها الآن والمسكينان دخلاها، لكن فجأة وجدا نفسيهما في مكان لا تلحق فيه النّار رغم أنّ الكهّان أشعلوا كل الحيز المربّع إلاّ أن النار مشتعلة نصف الحيّز فقط، فظهر شخص من بعيد يركب حصانا يشبه اللهموم والنهد مسرعا نحوهما والمرأة لا تفهم ما يحدث وهي سعيدة فقط لأنّها لم تلمسها النّار أبدا.

أمر صاحب الحصان أن يركبا بسرعة وكان صوت أنثى، فركبا ماثيو والمرأة وهربوا من تلك النّار، والكهّان والنّاس في الجهة الأخرى يظنّون أنّهما يحترقان ولكن لم يسمعا أيّ صراخ أو نديب فتعجب الكاهن الأعظم، " ماذا يحدث، ألا يتألّمان؟ "

فقال الطفل الصغير غاضبا بين شفتيه:

- اسأل آلهتك الصنمية عساها تجيبك.

فسمعه أحد الكهّان وقال للكاهن الأعظم:

-هل سمعت أيها العظيم ما قاله ابنك..؟

فردّ الكاهن الأعظم:

- نعم لقد سمعته..لا داعي للمناقشة معي.

وقد كانت عائلة هذا الطفل هو وأمّه لا يؤمنون بهذه الديانة ولكن أبوه كان يؤمن بها لقد كان الكاهن الأعظم نفسه، وكان قد طلّق زوجته لعدم التفاهم بينهما ولم تكن في قلبه رحمة أبدا.

وفي الجانب الآخر قال ماثيو وهو راكب في الحصان مع المرأة والخيّال الذي يعتبر كالفارس:

- لقد عرفت أنّ هناك ثغرة من ذلك الشيخ الحكيم المتسوّل لقد كان حكيما حقا ومساعدا ولن أنساه أبدا..، آه ولكن من أنت أيّها الخيّال الفارس؟

فردّ الخيّال بصوت أنثوي لطيف، وكأن ماثيو سمعه من قبل:

- متسوّل..؟ أعد ما قلته في جيبك، لقد كان ذلك أبي وأنا...

فاستدارت له و لم يصدّق ماثيو ما يرى:

- نا..ناتانيا؟ كيف هذا، ماذا يحدث، ناتانيا خادمة السجن تركب حصانا ؟ يا إلاهي هذا أمر عظيم..، و هل ذلك الشيخ الحكيم والدك؟

- نعم والقصّة طويلة، عندما نجلس سأحكي لك كلّ شيء، علينا أوّلا أن نأخذ هذه المرأة إلى مكان آمن

- آه صحيح وابنها العبقريّ الصغير بالتأكيد ينتظرها الآن.

وفي الجانب الأوّل كان الكهّان يتفقّدون أمر ماثيو و المرأة زوجة الكاهن الأعظم السابقة في النّار الملتهبة ولم يجدوهما فتعجّب الكلّ بدهشات كونية راقية، وسعد الطفل الصغير بهذا الخبر المفرح له كثيرا فغادر مسرعا إلى كوخهم القديم حيث يسكن هو ووالدته فوجدها هي وماثيو وناتانيا ففرح وتبادلا الشكر هو وماثيو كثيرا وسلّم عليه سلام الأبطال وحل ماثيو وناتانيا متجّهين بالحصان إلى شاطئ البحر كما أمرها ماثيو لأنّه سينتقل إلى القارة الأخرى المجاورة في جنوب شرق عالم ديبيتوم.

* * * * *

قارة بوديسموس.. (ذات الديانة البوذية)

أوّلا عندما كانت هناك الهندوسية قارة واحدة، نشأت منها ديانة جديدة وتحديدا في الهند هي الديانة البوذية التي تشكلت بعدها على شكل قارة أخرى ثانية، فأصبحت قارتين اثنتين لا تبعدان عن بعضهما، لكن كانت صغيرة جدا مقارنة بالقارات الأخرى تسمّى ب"قارة بوديسموس" وتعني الديانة البوذية باللغة اللاتينية، وهي ديانة مثل الهندوسية تقريبا، حيث تمثّل فرعا من فرع الفكر الديني " الآري "، ومصطلح آري يطلق على الأديان الهندية، وكلاهما نشآ في الهند لهذا انقسمت القارة وذهب من آمن بالبوذية إلى قارة بوديسموس وبقي من آمن بالهندوسية في هيندوويسموس، كما أنّ الهندوسية تعتبر أن البوذية هي فرع منها وتعتبر مدرسة لها أيضا..

* * * * *

وصل ماثيو وناتانيا إلى القارة المجاورة بسرعة كبيرة لأنّها ليست بعيدة أبدا، فقد سهلت عليهم مشقّة الطريق، والآن ماثيو ليس وحده لقد جاءت معه ناتانيا التي لم يتوقّع مجيئها أبدا والقصّة التي أوصلته إليه.

عندما كان الاثنان في طريق القارة ذاهبان حكت ناتانيا قصّتها المشوّقة لماثيو وهو حائرٌ كيف وصلت إليه.

في طريق الذهاب..

ناتانيا:

- **أنت يا ماثيو تعرفني فقط منذ التقينا في قارة جيسوس خريستوس، وفي الحقيقة أهلي كلّهم متفرّقون على القارات الخمس، ونحن عائلة من خمسة أفراد ومن حسن الحظ أنني كنت مبعوثة في قارتك التي ولدت فيها أنت، وأبي في هذه القارة (هيندوويسموس) وهو ما تدعونه ببائع الحكمة، وكما تعلم..عندما قرّرت أنت الرحيل قاصدا كلّ القارّات الخمس باحثا عن الدين الصحيح راسلت كلّ أفراد عائلتي إذا التقوا بك فيساعدوك على حاجتك، وعندما جئت هنا والتقيت والدي أشار إليّ بالسوار الذهبي المنقوش الموضوع على يده وهو سوار لجدّي كان قد صنع منه خمسة لنا نحن العائلة، قال أنّه قد التقى بفتى يتحدّث بالإنجليزية وهو من قارة " جيسوس.."، فعرفت أنّه أنت، فأتيت مسرعة إليك قاطعة الأراضي والجبال والبحار وذلك عندما أخبرني أبي أنّه سيقع في مشكلة قريبا وذلك ما أشار إله سوارنا.**

ردّ ماثيو:

- **وما قصّتكم أنتم العائلة، لماذا كل واحد فيكم في قارة..؟ وما قصّة هذا السوار الذي على يدك وعلى يد والدك؟**

- **عن قصّتنا فإنّي لن أقصّ لك ذلك، سيحين الوقت الذي سأخبرك بها، وأما عن عمل السّوار فإنّه يمكّننا أن نتراسل عبره عبر إشارات رمزية و يمكّنه من معرفة جنسية الشخص وأيّ قارة ينتمي وله بعض الفوائد والأضرار.. .**

- **وهل ستذهبين معي الآن أم ترجعين**

- في الحقيقة ليس لدي سبب معيّن لإكمال الرحلة معك، سأوصلك لقارتك الموالية وأعود من حيث جئت أنا

* * * * *

في شهر أكتوبر دخل الاثنان إلى قارة البوذيون وكانت أوّل بلدة تقابلهم مملوءة بالتماثيل الحجرية والذهبية والمباني القديمة والهشّة الصغيرة، كان ناسها فقراء تبدو عليهم المجاعة والجوع، وتجد الرجال معظمهم بلا لحية وتجد معظم النساء يفتخرْن بجمال قبيح ليس بجمال وهذه طباع النساء عادة.. الفخر والغيرة.

وكان الطفل حافي القدمين عادة وهي عادة من عاداتهم المتواصلة على مرّ السنين، منها ما يدلّ على الفقر ومنها ما يدلّ على طباعهم المتواصلة، وينشؤون من الصغر لعبادة أصنام لا تعقل ولا تسمع ولا تتكلّم، يصنعها نحّات كما شاء فيشوّه كما شاء ويتحف كما أراد

وكان من النحّات من يأتي بتمثال متناسق وباهي فإنّ له أجورا مضاعفة ومكانة في المعابد وسط الكهّان ومن يأتي بالعكس فيتوقف عن نحت التماثيل وربّما سيطرد من عمله.

مشيا ماثيو وناتانيا عبر تلك البلدة متّجهين نحو الجهة الأخرى من القارة لاستعارة قارب يأخذهم إلى قارة ساراتشي ذات الديانة الإسلامية التي راودته في الحلم.. وبينما هما كذلك والعين من جهة إلى جهة، تحدّق في النّاس والمنازل، وكذلك شوارعها وسمائها وحقولها وعقلياتها وحضاراتها أقبل من بعيد مجموعة من الأشخاص الصّلْع يرتدون نفس الثياب، كان لونها برتقاليا، يمشون نفس المشية، خطوة بخطوة كأنهم أسراب نمل أحمر..

ولمّا اقتربوا أكثر عرفا أنهم كهّان المعابد وهذه من عاداتهم وتقاليدهم ذلك اللباس الموحّد البرتقالي وصلعتهم الواحدة.

ولمّا تفرّقوا استوقف ماثيو ناتانيا قائلا:

- **ما رأيك أن نذهب خلفهم نرى ماذا سيفعلون في المعبد يا ناتانيا؟**
- **وماذا لو أنّ لهذه القارة أيضا قوانين مثل سابقيها لا نعلمها.**
- **لا.. لن نطيل كثيرا هذه المرّة، نرى فقط ونرجع**
- **حسنا.**

مشيا الاثنان خلف الكهّان مشي التعقّب والتجسّس حتّى وصلوا إلى دار كبيرة، لقد كان ذلك المعبد، ولمح الاثنان تمثالا ذهبيا عند باب المعبد الكبير فاتحا فمه بطريقة كبيرة جدا.

ماثيو:

- **ما هذا يا ناتانيا**
- **أظنّه إلاه من النوع الرفيع عندهم**

وعند التساؤل جاءهم الجواب مباشرة من طفل صغير قال لأمّه كان مارًّا منهما:

- لماذا يا أمّي نطعم هذا الإله خبزا كلّ يوم ولا يرجع لنا سوى نصف خبزة من يده مباشرة؟

الأم:

- نحن نطعمه ضعف ما نأكله أو نتقاسمه يا بني، لأنه يتجسّد فيه الكائن الروحي الجديد، وكذلك الحال على الكهّان.

فهمت ناتانيا كلام الأم وابنها وشرحته لماثيو ففهما ما يقصدانهّ..

وبينما أرادت ناتانيا الذهاب، طلب منها ماثيو الدخول إلى المعبد ليستطلعا أكثر على هذه الديانة التي ألهمت فضولا كبيرا اتجاه ماثيو، لكن ناتانيا رفضت ذلك مطلقا وأبت عليه ذلك خشية حدوث مكروه لهما فهما أجنبيان بالنسبة للقارة، وناتانيا كانت حريصة جدا وداهية فطنة..

وبينما هما على باب المعبد الكبير سمعا صوتا قادما نحوهم فنصبوا نفسهم كأنّه مارة من ذلك المكان، فخرج رجلٌ كاهن راهب اسمه " ساماكرون وينغبريشي " وبجانبه راهب صغير جدا وتكلّما في بينهما:

قال الراهب الصغير:

- إذن اليوم هو اليوم الذي تقطع فيه رأسك أيها الراهب " ساماكرون "

- نعم، كما تعلم طول خمسة سنوات وأنا أغذّي نفسي جيّدا وآكل أكلا معيّنا وأعمل لوقت لحين فداء للبوذا، وما عليكم أنتم سوى أن تأخذوا جثّتي إلى الغابة لتتحرّك وتنتقل إلي روح جديدة في كائن جديد وطوبى لنا الدخول للجنّة.

طلب ماثيو من ناتانيا أن تشرح له ما قالوا إن فهمتهم فشرحت له:

- هذه الديانة حقا مرعبة يا ماثيو

- لماذا..؟

- في هذه الديانة طقوس غريبة جدا، فيبدأ الراهب يحضّر نفسه أكثر من خمس سنوات، يأكل فيها أكل معيّن ولمّا يحين الوقت وتنتهي الخمس سنوات يقطّع رأسه في المقصلة ويأخذون جثّته إلى الغابة وتتحرّك هناك معتقدين ذلك أنهم يدخلون الجنّة وأن روحه تتجسّد في كائن جديد كائن روحي، وينبعث فيه الحظ السعيد بعد الموت.

- ماذا؟ يقتل نفسه؟ هذا أمر جنوني جدا وطقوس حتما مرعبة.

بعد سماع بعض المعلومات الغريبة عن الديانة البوذية من الراهبان دخلا خفية إلى المعبد البوذي المملوء بالأصنام المحيطة بهم، من صنم منحوت بالبدانة وصنم منحوت بالرشاقة وسلاسل وعقد ملتفت حول أيديهم ورقبتهم وطريق مستقيمة مفروشة بزرابي حمراء اللون ويقابلهما صنم ضخم مباشرة يشدّ ببطني كفّيه أمام وجهه الإسمنتي، وكذلك كلّ الأصنام..

اتجه ماثيو مباشرة إلى ذلك الصنم الكبير ووجد بجواره كتابا ضخما أسود اللون موجود عليه نفس الصنم الذي أمامه، كان اسم الكتاب " تريبتاكا " فأشارت ناتانيا على أنّه ربّما يكون كتابهم المقدّس، فوافقها الرأي ماثيو واستطلع عليه وما فهم منه سوى اسمه، فما كان عليه إلّا أن يتجنّبه ويكمل مسيرته، فلم يأخذه معه في حقيبته الجلدية كما أخذ الإنجيل والتوراة، فقد قطع إيمانه بهذه الأصنام..

كما يجب عليّ أن أُقول كما بحثت أن هذا الكتاب هو الكتاب المقدّس للبوذيين ، تقول السجلات البوذية أنه بعد وفاة بوذا (حوالي القرن الرابع قبل الميلاد) ، التقى تلاميذه الكبار في المجلس البوذي الأول قواعد " إيبالي" لمناقشة مستقبل سانغا – مجتمع الرهبان والراهبات - والدارما ، في هذه الحالة ، تعاليم بوذا. تلا الراهب المسمى بوذا للرهبان والراهبات من الذاكرة ، وتلاه ابن عم بوذا والحاضر ، " أناندا"، خطب بوذا و قبلت الجمعية هذه القراءات باعتبارها تعاليم دقيقة لبوذا ، وأصبحت تعرف باسم "سوترا بيتاكا وفيناي".. (وتوجد إختلافات كثيرة في هذا وهي ليست مقدّسة هذه الكتب بالطبع.)

*** * * * ***

بدأت تبكي السماء فجأة بأمطار منها الديَم والهتّان، وماثيو وناتانيا على وشك الخروج من المعبد البوذي بعدما استطلعوا على الكثير من الأشياء داخل المعبد ولا شيء أرضاهم أو صدّقوه، كانت خرافات وأساطير مكتوبة بحبر صنم كان إنسان قبل التصنّم، وصوت قطرات الماء خارج المعبد تحدث صوتا عند سقوطها على الماء..أو الحجر، وكأنّ شيئا ما سيحدث بعد قليل..، لماذا هذا الإحساس ينبعث منّي ومن ناتانيا وماثيو..

يا إلهي شخص ما قادم..

- ناتانيا.. اعملِ نفسك تصلّين أو ما شابه، هذا لا يبشّر بالخير..

- قلت لك ألّا ندخل.. ماذا نفعل الآن لو علموا أنّنا دخلنا المعبد ونحن لسنا من البوذيين ولا نؤمن بأيّ شيء منهم..، هل ستقول لهم أنّك.. .. باحث؟

في هذه اللحظة استشاط ماثيو غضبا هادئا:

- نعم أنا باحث وهذه مهنتي، شئت أم أبيت والخلاص لمن بحث..

آسف آسف لم أقصد الصراخ..

سكتت ناتانيا وحركت رأسها وقالت له أن لا يصرخ فخطوات الآتي اقتربت أكثر و فجأة دخل رجل كان يبدو مثل رعاة الأغنام..

نعم هو نفسه ذلك الذي رآه ماثيو في كلّ القارات من قبل مع الأغنام، كان مغطّي وجهه كالمعتاد ويرتدي نفس الملابس أيضا وبالطبع لم تكن معه خرفانه الكبيرة المشبّعة بالصوف التي كانت تعيد ذكريات زمان ماثيو الراعي الباحث..

في هذا المشهد بالذات استبشرت ناتانيا لأنّها اعتبرته أحد الناس البوذيين الذين يأتون للعبادة وفي المقابل ماثيو حائر بعينيه الصامتتين الواسعتين ينظر نظرة واحدة اتجاه

الراعي..

فقال راعي الغنم:

- اذهبوا بسرعة..

ثم انصرف خارج المعبد بسرعة نحو أغنامه التي تركها خارجا وراح إلى مالا نعلم..

ما كان على الباحث وناتانيا سوى الخروج بسرعة خشية الخطر أو ما سيحدث كما أمرهم الراعي، فخرجوا أمام المعبد وقال ماثيو:

- هذه ليس صدفة أيضا..، التقيت به في كلّ قارة جبتها حتّى الآن، جواداي، هيندوويسموس، بوديسموس، والآن سأنتظره في قارة ساراتشي ربّما لا أظنّ أنّ هذه صدفة، من يكون هذا الرجل ولماذا أمرنا بالخروج، أيخاف علينا..

ناتانيا:

- بالتأكيد لن تكون هذه صدفة، ألا تعرفه أنت؟ ظننتك تعرفه عندما أتى ليأمرنا بالخروج..

وبعد لحظات من الكلام القليل من الاثنان جاء حشد من الرهبان إلى المعبد بذلك الزيّ البرتقالي الموحّد والرأس الأصلع اللامع والخطوات المتناسقة وفي وسطهم ذلك الراهب الكبير " ساماكرون " الذي سيقطع رأسه بعد قليل في المعبد، وهنا أدرك ماثيو وناتانيا أنّ الراعي ساعدهم وكان يدري بمجيء هؤلاء الرهبان في هذا الوقت بالتحديد، فكانا يراقبان من مسافة لا بأس بها هما وبعض الناس البوذيين ماذا يفعلون به، فاتبعوهم إلى داخل المعبد يختلسون النظر فوجدوا راهبا عليه ملامح الجدّية والصلابة يحمل سيفا مسلولا والراهب على ركبتيه

يجلس ويقول " بوذا .. بوذا.. .

قطع الراهب رأس ساماكرون والدماء سالت على الأرض ورأسه طار وسقط بجوار جسده في الأرض، واتجهوا بجسمه كلّه نحو الغابة ورموه هناك ظانّين أنّهم ستنتقل روحه إلى شخص آخر، وهناك طائفة من البوذيين يقولون أنّ من مات لن يعود، ولا حياة بعد الموت، وتتعدد الاختلافات في هذه الديانة المصنوعة والقبيحة.

*** * * * ***

خرج ماثيو وناتانيا من تلك البلدة المملوءة بالأشياء الغريبة و المخيفة من صفاتهم ومعتقداتهم وكتبهم الغير المفهومة أبدا وكذلك لغتهم التي ربّما لن تفهمها إلّا إذا عشت معهم أبد الدّهر وتوجّها إلى أقصى بلدة في تلك القارة حيث يوجد بعدها محيط يفصل بين القارتين، بين بوديسموس وساراتشي، وماثيو يفكّر في أمور سابقة ومازالت تحدث له كمثل حوادث الراعي معه، أو بالأحرى لماذا ساعدهم وكان يراقب خارج المعبد الرهبان إذا أتوا فيبلغه هو وناتانيا..

في هذه اللحظة الاثنان يريدان الخروج من هذه القارة التي لم ترضي كليهما طباعهم وصفاتهم ومعتقداتهم الدينية والشيء الذي سبب كره كبير في هذه الديانة هو قطع رؤوس الرهبان مما أدّى إلى موتهم.

وبعد ساعات من المشي نحو القارب ولمّا وصلوا أرادت ناتانيا العودة من حيث جاءت، لأنها أرادت أن توصله فقط منذ التقيا في القارة الأخرى، لكن فاجأها ماثيو بإصرار كبير يترجّاها أن تبقى معه وتكمل رحلتها معه وأُقنعها بأنّ الديانة المسيحية دين خاطئ، وبما أنّها رأت معه بعض الديانات زادت شكوكها، فما كان عليها سوى أن تقتنع و تكمل المسيرة معه، وبهذا يصبح لنا.. باحثان.

قدّم لها ماثيو الكتب المقدّسة للديانات التي لديه (الإنجيل الذي أخذه من الكنيسة في أوّل رحلة، والتوراة التي ساعدته الفتاة إيلا في أخذه)، وأراد منها أن تقرأ كليهما وترى من هو أبلغ وأصدق من بينهما، كما أنّه في كلّ مكان يستريح فيه، يتطلّع عليهما وكان شديد البحث في شأنيهما..
أخذت ناتانيا الكتابان ورأت فيهما قليلا وسألته عن سبب الاحتفاظ بهما طول هذه المدّة، فسكت ولم يجبها إلّا بكلمتان، " ستعرفين غدا "..

*** * * * ***

الفصل الرابع

قارة ساراتشي

- **الأسود لا يليق بك..**
- **ماذا تقصد يا خالد، العباءة أم بشرتي**
- **أقصد العباءة فقط يا صديقي، لو ارتديت البيضاء لكان أفضل**
- **كل شخص وذوقه يا صاح، هناك من يشتهي الفلفل الحار على الحلو**
- **إذا صديقي عمر يشتهي الفلفل الحار**
- **ربّما**
- **آه تذكرت، غدا هو موعدنا الأوّل عند الشيخ ابن باز في دراسة العلم الديني والفقهي، هل أنت مستعد**
- **بالطبع، منذ التقينا في السعودية وأنا أنتظر هذه الأيام، لقد جئت من إفريقيا إلى هنا من أجل طلب العلم يا خالد.**
- **جيد، أنت معي، دياري السعودية، سأبيتك معي دوما إلى حين مغادرتك، كما أنّ هناك غرف إقامة في مدرسة الشيخ ابن باز، يمكننا المبيت هناك أيضا.**

عمر و خالد صديقان جدد، التقيا في مدينة السعودية التي هي موطن خالد، وأصل عمر هو شمال إفريقيا، كلاهما يريدان التعلم على يد الشيخ ابن باز، من قرآن و أحكام و علوم و فقه..، والهدف واحد.

كان خالد جميلا جدا، راجح العقلية، يمتاز بالحلم والأناة والبرودة، متواضعا ورقيق الصوت، كان له قلبٌ بنقاء الماء، وعقلٌ كأثير السيف، وبرودة بعَهدة الثلج تعلو محياهُ مسحة من البراءة كتلك التي يمتلكها الأطفال، خطواته جدّية وواثقة، حسّاسٌ ورزينٌ وهادئ الطباع مع الناس، وعميق الودّ ومتلهّف إلى العلم بشدة.

أمّا عن أحمد فكان أسود البشرة، عندما تراه يأتي لذهنك الشاب الشاعر الجاهلي عنترة..، وكذلك بلال بن رباح..
أخبروهم أنّ أعظم الشخصيات كانوا سود البشرة فلا يغرنّكم بياضها..
وكان مدوّر العينين، ساقط الأنف، كبير الشفتين، قليل الكلام لا ضرّ به ولا أذى والذي امتاز به أحمد هو الطيبة الشديدة، كان طيّب الخلق والخلق، وتلهّفه لطلب العلم يفوق الخيال..

خرج عمر وخالد يتجوّلان في شوارع السعودية الباهية المضيئة في مدينة الرياض المحاطة بسور تسمّى بسور " الحامي " وقد تعرَّض هذا السور للعديد من الهجمات، والحروب التي أضرَّت في بُنيته، وتُحيط بمختلف جوانب السور مجموعة من البوّابات الكبيرة، والصغيرة التي تسمح بدخول السكّان، وخُروجهم، وهذه البوّابات هي: بوّابة الثميري، وبوّابة القري، وبوّابة عرعير، وبوّابة دخنة، ومصدة، والمريقب، والبديعة، وآل سويلم، والظهيرة، وكانت تتميّز من قبل بشوارعها و أحيائها القديمة، كانت مدينة الرياض قبل نشأتها تُمثِّل مجموعة من الأحياء المُستقلَّة، عُرِف كلٌّ منها باسم (حلّة)، ومن هذه الحلل: الحلّة القديمة في الجانب الشرقيّ من المدينة، وقد سكنها الشُّعراء، والأُمراء، والعُلماء، وحلّة دخنة التي تُعتبَر أشهر، وأكبر حلل مدينة الرياض القديمة، والواقعة في جنوب ساحة الصفاة، وقد سَكَن هذا الحيّ الفُقهاء، والعُلماء، والحلّة الشرقيّة التي تقع إلى الجنوب من قصر الحُكم، وحلّة المريقب التي تقع غرب الحلّة الشرقيّة، إضافة إلى وجود حلّة القناعي،

وحلّة المعيقليّة، وحلّة الظهيرة، وكانت تتميّز بمبانيها وقصورها الباهية العالية التي تجذبر العيون و تأخذك إلى عالم الفانتازيا بأشكالها، فمنها قصر الحُكم الواقع في وسط المدينة، وقد كان مَقرّاً للملك عبد العزيز، وحصن المصمك الذي بُنِي في عهد مُحمَّد بن عبد الله بن رشيد، ومضيف خريمس الذي بُنِي في عهد الملك عبد العزيز، والواقع أمام قصر الحُكم من الجانب الشماليّ، وقصر والدة الملك فهد، وقصر الأمير مُحمَّد بن عبد الرحمن، ومقرُّ الشرطة القديم، وقصر الأمير سعد بن عبد الرحمن.

وبينما الصديقان يتمشّان في أحيائها رأيا شابا و فتاة يسألون عن المعبد الإسلامي، توجه نحوهما خالد ابن مدينة السعودية الذي يجيد لغات عديدة وقال لهم:

- مرحبا..أظنّكما أجنبيان أيها الصديقان، وأوّلا يسّمى مسجد وليس معبد، أرجو التفهّم، يمكنني مساعدتكم.

- مرحبا، نحن أجنبيان أصبت ونبحث عن المسجد نعم.
- أأنتما مسلمين..
- في الحقيقة لا..

في هذه اللحظة تدخّلت الفتاة بكعبها نحو صديقها وقالت:

- نعم نعم نحن مسلمان، هلّا أرشدتنا من فضلك.

أظنّ أنك عرفت من يكون الفتى وتلك الفتاة ..

نعم إنّهما ماثيو و ناتانيا..

وكانت ناتانيا حريصة وخائفة، تظنّ أن المسلمون لديهم قوانين ومعتقدات غريبة كسابقيها ولكنّها خاطئة وستدرك ذلك فيما بعد..

* * * * *

أحذ الصديقان المسلمان ماثيو وناتانيا في جولة إلى المسجد، ورغم قول ناتانيا أنهما مسلمان إلّا أنّ خالد الشاب المسلم الذي يشعّ النور من وجهه شكّ في قولها وأدرك أنّهما ليس مسلمان، فهيأتهما توحي إلى ذلك، ورغم ذلك كان له العقل المدبّر في إحياء ثغرة لهما لدخول الإسلام فأخذهما إلى مسجد كان من أفضل المساجد وبه أفضل الأئمّة..

هذه المرة الأولى التي يكون فيها ماثيو هادئا مطمئنا هكذا، لم يرى قوما غريبين ومغفّلين كسابقيهم ولم يرى طقوسا أو كاهنا أو حاخاما أو قسيسا أو معبدا غريبا ولم يرى إلّا بهاء الأحياء والشوارع والمدن، وطيبة القوم بتعاملاتهم مع بعضهم وضحكات متعالية وسرور متواصل، وقبلات سليمة، وتعاون وأخوّةٌ، وتسليمٌ وسلامٌ وكأنّ أسماك القرش هدأت..
وكأنّ التمساح لا يذرف دموعه الآن..مثل ما كان يذرفه من قبل..
وكأنّ الأسد توقف عن أكل اللحوم..
الحشيشُ ناداه..
هدأ البحرُ واستقرّت القوارب، وتوقفت الأمواج عن الإلتماط..

هذا الشعور الأبيض الذي دخل ماثيو يلهمه إلى الإسلام، يلهمه إلى قومهم وإلى كتابهم، ولغتهم التي ربّما ستكون صعبة التعلّم..
مهلا.. هل قلت صعبة..؟
آه تأثير اللغة الإنجليزية أثّر عليّ..
لا يوجد لغة أبسط من اللغة العربية..
تعلّم الحروف وطوبى لك تركيبها..لتنتج كلمات

يريد فقط أن يرى الآن ما يسمّى بالمسجد..

وصلوا إلى شارع قريب من المسجد الذي يريد أن يريه إيّاه..، ومن هناك يلمح ماثيو تلك القبّة الكبير العالية الطويلة و بناءٌ كبيرٌ أبيضٌ ليست به شؤوبٌ وألوان.

فقط خارجه يدعو إلى السلام..

وما إن وصلا برفقة خالد و أحمد أمروهما أن يدخلا معهما لأنّه يريد أن يريهما القليل منه إذا شاء وقال:

- **أنا أعلم أنّكما لستما مسلمين، وأنتم أجانب تريدان التعرّف على الإسلام..**

ردّ ماثيو:

- **آه... في الحقيقة نعم صحيح، لكن كيف عرفت ذلك..**
- **هل أخبرك أنّ الله دبّر هذا وارادني أن أكون مرشدك، اعلم أنّ الله يسهّل الأمر عليك ما دمت وصلت هنا الآن..، وعادة..أو دائما ما الشيطان سيحاول بعدك عن الدين الحق، لهذا عليك بالتعوّذ منه والتوصّل إلى استنتاجات العقل المنطقية**
- **كلامك غير مفهوم قليلا لكن لا بأس..**
- **ستفهم بعد قليل..**

قبل الدخول إلى المسجد طلب خالد و أحمد أن ينتظراهما هنا وأن لا يدخلا المسجد إلى حين عودتهما، وقالا أنهما سيكونان هنا خلال خمسة دقائق فقط..

وافقا ماثيو وناتانيا على ذلك..

وما إن ذهبا قال ناتانيا الفتاة المهتمة بماثيو وحريصة عليه:

- **ماثيو أظنّها خدعة هيّا نذهب.. أنّا أشكّ فيهما.. دعنا نلق نظرة، وخذ الكتاب الذي تريده وافعل ما أنت تريده ودعنا نرحل.**

ردّ عليها ماثيو بأناة:

- لا..ناتانيا، سنبقى هنا وننتظر وأنا لم أطمئن في حياتي هكذا من قبل.. وظنّي عكس ظنّك..
- حسنا..كما تشاء.

حتما بقيا الاثنان هناك لمدّة خمس دقائق كما أخبروهما، ثمّ عادا خالد وأحمد وكان يحملان معهما شيء من بعيد يبدو أبيض اللون باهي ورطب، لقد كان حجابا خاصا بالنّساء..، فأراد خالد من ناتانيا:

- سيّدتي أرجوك أن ترتدي هذه قبل دخولك للمسجد، لأنّ هذا حرامٌ ومكروهٌ في ديننا وإن أردت أن لا ترتديه فالبقاء خارجا أحسن..
- أمم.. حسنا موافقة إن كان الأمر كذلك، لكنك ذكّرتني بالمسيحية لأنّ نساءها يرتدينّ غطاء على رأسهنّ عند الكنيسة
- حسنا..، إن كانوا هنّ يرتدينّه في الكنيسة عند صلاتهنّ فقط، فنساؤنا يرتديّنّه دائما فهو ساترٌ لجسدهن..، وهو أحد الفروض الواجبة في الإسلام، والحجاب يحمي المرأة جسديا وكذلك يحميها أخلاقيا، وليس هناك شيء يحفظ للمرأة كرامتها وعرضها وعزتها مثل الحجاب..

واعلمي " أنّ الحجاب لا ينقص من جمالكنّ شيئا..بل يزيدكنّ جمالا "

والمرأة من الأشياء التي يعظمّها الرجل عندنا..فالمرأة توجد مرّة واحدة لهذا حمايتها وسرتها أوّلا يا..

- .. ناتانيا
- حسنا..ناتانيا.
- أقنعتني قليلا..المهم سأرتدي هذا الحجاب الآن..

ارتدت ناتانيا الحجاب الأبيض وما إن فعلت ذلك حتّى صاح ماثيو مستبشر الفم ومجعّد الخدّ ويضحك ضحكة الفرخ فصاح..:

- ما أحلاك يا ناتانيا، صدّقيني أنّك أفضل ممّا كنت، ما هذا الجمال..ما هذا النّور.. ماهذا النعيم..أهذا حلم، لم أشعر بهذا من قبل، إقرصيني يا ناتانيا، ولماذا هذا الشعور الرائع يغمرني فجأة هكذا..

فردّت ناتانيا خجلة تدور حول نفسها من شدّة نعامه ذلك الحجاب الذي أحضره خالد من المتجر والذي كان قد اختاره أحمد:

- أحقا ذلك..أنا أيضا بدأت أشعر بشيء لم أشعر به من قبل، وكيف أبدو؟
- أنت ياقوتة مكنونة يا ناتانيا..ولؤلؤة زاد العفاف بريقها، وأصداف بحر تلمع في الظلام..، ومثل حسن الشمس قد برزت..، مثل الياقوت والمرجان.. .

خجلت الفتاة كثيرا من كلام ماثيو الكبير والممدوح لها وكلماته ما زادت تقرّبها من عمل ماثيو ونسبة وجود الدين الحقّ تزداد.. لا بدّ أن يكون هو الإسلام.

عزيزي القارئ..وأيّتها الفتاة القارئة..

قال " فيكتور هيجو " ذات مرّة :(الرجل ألعوبة المرأة، والمرأة ألعوبة الشيطان) .. في الحقيقة هو صدق، وأنا لا أريد أن أكذّبه فهو من أعظم الأدباء والشعراء الذين يحترمهم العالم..، ولكن فقط سأعطيه مقولة أفضل من تلك .. لأنه نظر إلى جانب حياتهم ومعيشتهم ودينهم..، أنا أقول يا فيكتور هيجو وعزيزي القارئ: ("الرجل ألعوبة المرأة، والمرأة ألعوبة الشيطان، والشيطان ألعوبة المرأة المسلمة) لهذا أقول أنّ المرأة المسلمة ليست ألعوبة للشيطان بل هو ألعوبة لها..

ومن هنا..

دخلوا إلى المسجد التي كانت له بوابة باهية، بنّية اللّون باردة، وصورها محددٌ بالرّخام المتنوّع الأملس العفيف، وجمال معماره باه جدا..تتزحلق العين له، وبناء صومعته تلك وأصول زخارفه البسيطة الرائعة، وهاهم الآن مشوا نحو الباب وتجاوزوها وأبصروا باب آخر تشدّك لافتته التي تقول أنّه " بيت الوضوء " الذي كان أبيض الصبغ والصور وكذلك أرضه بالرخام ومقاعد رخامية بيضاء ملساء باردة، وهاهم التفّوا نحو الاتجاه الآخر ودخلوه بخطوات أقدام حافية سكرت وغابت عن وعيها من دهسها على فراش المسجد الرطب الرائع، فلا الحوت يعيد فطنتها ولا سمك السردين..

المسجد واسع وهذا مكان صلاة النّاس، فيه ثلاثة طبقات، طابق للنساء والآخران للرجال وهذا أوسطهم وأوسعهم، أنظر هنا يا ماثيو، إلى فراش المسجد الأحمر هذا و إلى برودة جوّه ونسمته وعطره وريحه، من أين هذه الرائحة الطيّبة..

إنّه المسك..يتعطّر به المسلمون، وهو ليس رائحة كغير الروائح، كما يوجد العنبر أيضا..

توجّه الجميع وفي مقدّمتهم ماثيو وهو يقصد ركن الكتب وقال:

- **أهذه هي الكتب المقدّسة للإسلام يا صديق..؟**

فأجاب خالد:

- **كتب..؟ نحن لدينا كتابٌ واحد وهو القرآن الكريم، وهو كلام الله تعالى المنزّل على**

نبيّه محمد صلّى الله عليه وسلّم، المعجز بلفظه أي في حد ذاته هو معجزة من الله لنبيه إلى يوم القيامة يُتلى، والمعبّد بتلاوته والمنقول إلينا بالتواتر، جيلا بعد جيل وعليك البحث أكثر أو الدراسة،..أوه أو بما أنّك تريد الأكثر يمكنني أن آخذكم معي إلى شيخي غدا أوّل حصّة واستشروه بما تريدون..

أعجب ماثيو بالكلام المقنع الذي تمّ توجيهه إليه وبطريقة التحدّث والاحترام والسلام الذي بداخله، لابدّ أنّه جاء من الإسلام..ذلك السّلام.

وتدخّل ماثيو يكمل:

- **ومن سبب حفظ الله تعالى لهذا القرآن وعدم التحريف فيه عكس الكتب السماوية من إنجيل وتوراة كما تعلم..، أنّه هناك سببان:**

أوّلا : حسب طبيعة القوم وعنادهم، فمثلا قوم فرعون الذي طغوا ببطشهم وحتّى شقّ الله تعالى البحر لموسى وأهلكم فيه، وبعناد القوم وبطشهم سيكفرون بما يأتيه النبي ويحرّفونه

ثانيا: النسخ، فمثلا في العصور القديمة عندما كان الوحي عند الأنبياء كانوا ما يسمعونه من النبي لا يدوّنونه أو ينسخونه، فكان الأمر صعبا، حتّى أنّه جاء فيما بعد مثلا أصحاب النبي عيسى عليه السلام..

هنا استوقف ماثيو خالد بعينيه عندما سمع كلمة نبي و كبّر أذنه أكثر وأكمل الإنصات..

دوّنوه ولكن بلا تذكّر، فحرّفوا منه ما حرّفوا، عكس القرآن الكريم المحفوظ فقد كان المسلمين حريصين جدّا على الاعتناء بالقرآن، وحفظه وتلاوته، وكان منهم من يقرأ القرآن كلّ ثلاثة أيام أو كل يوم، أو كلّ ساعة، و كانوا يحفظون القرآن شفهيا، وفي نفس الوقت يكتبونه، فقد شهد عصرهم ازهارا في الكتابة، أي أنّهم وفّروا للقرآن وسيلتين للنقل " الكتابة باليد والحفظ " فقد كانوا يحفظون القرآن، حتى أنّ كثير من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم حفظوه في زمنه، وأضف إلى ذلك سهولة حفظ آياته الليّنة، حتّى أنّك

اليوم ستجد الكثير من الأطفال المسلمين يحفظون القرآن..، كما يمكنك غدا التوجّه إلى الشيخ ابن باز والتعلم منه معنا..

سمع ماثيو وكذلك ناتانيا حرفا بحرف ممّا قاله الصديق خالد من كلامه المقنع لهما والذي أرادهما البحث أكثر لأنّهما يجهلان لأمر الإسلام كثيرا من قرآن وسنّة وغيرها عكس ما كان يريدون قوم الديانات الأخرى، أن تدخل في ديانتهم فحسب..، هذا والاحترام المنبعث من خالد و أحمد أشعل رغبة شرسة للاثنان في الذهاب معهما و التعلّم معهما عند شيخهم والاقتراب من الإسلام أكثر.

سأل ماثيو خالد :

- **سمعتك قلت عيسى نبيّ الله، اشرح لي هذا بالمختصر المفيد.**
- **نعم فعيسى نبيّ الله وليس ابنا له أو إله كما يتخذونه الإسرائيل والنّصارى وعليك أن تعلم أنّ الله أرسل الكثير من الأنبياء إلى أُقوام مختلفين وهو الذي خلق آدم من طين، ثمّ جاء بعده نوح وإدريس وموسى...الخ.**
مالمسيح ابن مريم إلّا رسول..

وما محمّد إلّا رسول..
وهو آخر الرسل..
ولم يرسل إلى المسلمين أو العرب فقط، بل أرسل إلى البشرية جمعاء

ولبعض الأنبياء كتب، فمثلا..

التوراة هي الوحي الذي أنزل على عبده موسى عليه السلام..

الزبور هو الوحي الذي أنزل على عبده داود عليه السلام..

الإنجيل هو الوحي الذي أنزل على عبده عيسى عليه السلام..

والقرآن هو آخر وحي والذي أنزل على آخر الرسل محمّد صلّى الله عليه وسلّم

وقد قال الله تعالى في سورة الرعد: " لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ " (سورة الرعد)

ولا يزال هناك الكثير والكثير في القرآن الكريم ربّما يجهله المسيحيّون..

فقط عليه يا صديقي المتابعة حيث أنت، فأنت في الطّريق الصحيح.

تعجّب ماثيو وناتانيا من كمّية المعلومات الكبيرة للشاب خالد التي يملكها، ومن هذا الإسلام المقنع الذي لم يجد دينا فيه معلومات كثيرة منذ سفره من كلّ الأديان الذي مرّ بها، ليس هناك دين وضّح له بعضا من المسيحية هكذا، وكان يدري أنّ هناك إله واحدا قويّا يستطيع أن يخلق هذا الكون وهذا الإنسان الذي جعله يفكّر ويعقل إلى أن يصل إلى مبتغاه، والكثير و الكثير من النعم..
فسألاه عن هذه المعلومات، فكان جوابه أنّه أشار إلى ركن المصاحف القرآنية فقط،

فأدركا أنّه يقصد أنّ القرآن دليل كلّ شيء، وبدأ إيمان ماثيو و ناتانيا يزداد شيئا فشيئا. شيئا..فشيئا.. .

لم يستطع الباحثان كم كان ذلك رائعا و جميلا وآمنا، بقيا يشاهدان النّاس .. وفجأة سمعا صوت الأذان أوّل مرة، بعث لهما قشعريرة باردة وهادئة..القلب يتطمأن هناك.. أراد الإثنان الخروج بعد هذا الاستطلاع الكبير المذهل، لكن ماثيو أراد أيضا أن يأخذ القرآن الكريم معه.. لكن استوقفه خالد بأن قال له أنّ هذه الكتب للمصلّين الذين يأتون ويقرأون قبل الصلاة أو بعد..أو في أي وقت لذا أمره أن يذهب معه ويحضر له واحد

يناسبه، كما أنّه سيحضره مترجم له..يسهّل له ذلك فهمه وقراءته.

خرج الأربعة من المسجد وكان الأذان لا يزال قائما..، لقد كان جدّ رائع وباهي من الخارج أيضا..

هو ليست موسيقى..

وليس غناء..

وليس ترانيم المسيح..أو اليهود..

إنّه الآذان، هو صوت نداء المؤذّن للصلاة، بكلمات..

بكلمات.. " الله أكبر الله أكبر"..

" الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حَيَّ على الصلاة، حَيَّ على الصلاة، حَيَّ على الفلاح، حَيَّ على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله"

هو الدعوة للمسلمين للالتقاء والتوحّد في طاعة الله و عبادته والاستجابة لدعوته، يُعلم الأذان للمسلمين بوقت دخول الصلاة، وذلك لدعوة النّاس للقيام بذلك في الوقت المحدّد وعدم التكاسل..وعدم التّهاون في ذلك.

*** * * * ***

أخذ خالد وأحمد الباحثان ماثيو وناتانيا إلى منزل السّعودي وأعطاهما نسخة من القرآن الكريم بالإنجليزية الذي كان يجمل من أجود الصفحات ونوع الكتابة الواضحة، فأعطاهما إيّاه وقال لهما إن كان لأيّ حاجة فليأتوا إليه..

أتساءل الآن.. هل سيدخلان للإسلام ربّما؟
لا نعلم..
لكنّ الله دائما يخطّط للأفضل..
يا صديقي.. انهض فقط..
وتوكّل على الله..

أخذ ماثيو ذلك القرآن وحصل عليه بسهولة بلا أيّ مضايقات أو قوانين أو إزعاج لقد كان بسيط ذلك الأمر جدا.. وهذا ما أعجبه في الإسلام أيضا..بلا قوانين أو كهّان، أو غرباء..فقط ناسٌ طيّبون، و مساعدون..، والآن يمتلك الكتب الإبراهيمية الثّلاث في حقيبته السوداء الجلدية، القرآن..التوراة..والإنجيل.
لابدّ أن يكون هناك كتابٌ واحدٌ فقط محفوظ ولم يحرّف أو ربّما هناك اثنان؟ أو الثلاثة؟

يتفقّد ماثيو القرآن الكريم كلمة بكلمة ويقرأها ويريد فقط فهمها، لقد كانت منها التي يعجز عن فهمها..، بالطبع القرآن إعجازي ولن تفهمه كلّه وليس بطريقة واحدة.. التفسيرات متعددة وفقط يا ماثيو وأنت يا صديقي لو تعلّمت اللغة العربية سيكون أفضل وأحسن.
فهي لغة القرآن..نزّل بها..

واعلم..

أنّ كلمة واحدة في اللغة العربية لها مليارات المعاني والمرادفات..

وهي حلوة.. وهي لغة القرآن الكريم ولغة الرسول فلذلك يجب علينا ان نتفاخر بهذه اللغة العظيمة الذي انزل بها ربنا الكريم قرآننا العظيم فقد قام روادنا العرب بتطوير هذه اللغة ومن ناحية هي اصعب لغة ايضا..

بقي ماثيو يقرأ لساعات متواصلة هو و ناتانيا التي تتبعه من الآن وترافقه من الإلتقاء الأوّل والتصادم الأوّل..وشعور سقوط طعام السجن..وحمايتها من صاحب المضرب.. وبكائها عليه..والتقاءاتهم المتعددة والمتواصلة..، وهكذا وصل الليل والغسق وهما فقط يقرآن ويبحثان في كتب أخرى في المكتبات عن تفسيرات مترجمة وكتب مساعدة

وكذلك كتب مسهّلة لهما..

الشيء الذي أسعد ماثيو طول هذا اليوم هو أنّه وجد التاريخ..

لقد وجد التاريخ كلّه في الإسلام..

كتب عربية.. قديمة .. تاريخية..وأيضا هذا القرآن الذي يدهشه، والذي قضى يوما كاملا معه وكذلك ناتانيا..

ناتانيا..التي كان يداعبها من حين إلى حين..من وقت إلى وقت..أو ربّما غازلها أيضا، لقد كانت حظّه من اليوم الأوّل الذي التقى بها..شيء طبيعي..

فقط تخيّل أن تبقى ناتانيا بذلك الحجاب الأبيض السابق..لقد كانت أجمل..

لكنّها خلعته بمجرّد خروجها من المسجد..

هل أقول لكم شيئا في هذه الليلة..؟

لا..لن أقول.

* * * * *

لقد مرّت شهور وماثيو مازال هنا مع المسلمين..
طباعهم الحسنة جعلته يبقى..لكن الهدف الرئيسي ليس المسلمين..
بل الإسلام..لأنّه رأى بعض المسلمات كأنّهنّ رأى نساء مسيحيّات أو أسوأ..
عراة..كاسيات..عاريات..لكن لم تكن بشكل كبير..
ورغم ذلك يراهم من حين إلى حين متحجّبات..

قرّر ماثيو قرارا جيّدا هذا اليوم، إنّه يريد الذهاب إلى الصديق خالد وأحمد للتعلّم معهم عند شيخهم ابن باز الشيخ العظيم والكبير هناك..وذلك بعد أن يتمّ إكمال قراءة القرآن الكريم، لقد كاد أن يتمّه في شهر ونصف..
وقد أتمّه في شهرين هو وفتاته..، لكنّها هي أبت أن تذهب معه للتعلم عند ذلك الشيخ، لكنّه قال:

- أنا أبحث يا ناتانيا..وأنت أيضا، دعينا نكمل ذلك معا.
- لا.. عند فكرة أفضل..، أنت تذهب للبحث والاستماع والتعلّم وعندما ترجع تلخّص ليا ما وجدت عندهم وهكذا تكون أفضل، سيكون عيبٌ أن أكون بجوارهم بلا حجاب أيضا..أنت تعلم..إنهم مسلمون.
- حسنا..

كان قد حلّ الليل الأوّل، وصوت آذان المغرب يصل إلى آذان الأصم من المئذنة العالية والمسلمون بخطوات الثلج والصدق نحو المساجد والكلّ يرفق صاحبه أو أباه إلى صلاة المغرب..، لقد لفت انتباه ماثيو شيئا..

لقد رأى شيوخا وعجائز بانحناء ظهورهم يمشون على القدم من أجل اللحاق بالصلاة، خطوة وراء خطوة بعكائزهم.

هذا هو الإسلام صديقي..

طفلٌ صغير يترجّى أباه أن يذهب معه إلى المسجد..

شابٌ مراهق يكافح شبابه ويذهب إلى المسجد..

رجلٌ تتفاقم عليه هموم العيش والكرب نحو المسجد..

عجوز يحارب مرضه وظهره وانحناءه ويتوجّه إلى بيت الله..في كلّ صلاة.

بنتٌ..فتاة..شابة..امرة..وامرأة عجوز.. بسترهنّ الذي يزيدهنّ جمالا إلى المسجد..

الكلّ..الكلّ إلى المسجد..إلى بيت الله الأحد.

يتجوّل ماثيو حول شارع المسجد ويرى ما يراه وشعوره يرتاح لهذه المظاهر وعدد المصلّين وعباءتهم البيضاء وغيرها، تزيد له الاطمئنان للإسلام والمسلمين.

كان قد ترك ناتانيا في أحد البيوت التي استأجروها من رجل طيّب بسعر مناسب

ولا بأس به لكلا الطرفين، وتوجّه إلى بيت خالد الذي قد عرفه منذ لحظة إعطائه نسخة القرآن الذي قد قرأه كاملا خلال شهرين وبحث عنه الكثير والكثير في هذه المدّة..، كما قد وجد ما يدعو إلى البكاء وذرف الدموع حقا خلال قراءته للآيات وبعض القصص التي وجدها في كتب أخرى عن رسول الله محمّد صلّى الله عليه وسلّم، كما أنّها كانت قديمة ولها بعض المصادر.. ممّا أكّدت له صحّة القول والقصص..، والذي أعجب به وزاده إيمان ووقفة..هو عندما عرف أنّ النبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم كان راعي غنم مثله.. فلم يستهزئ منه أو يحتقره عندما عرف ذلك بل ثارت فيه جمرات الإيمان..وتفتّحت فيه ثغراته..
لأنّه يعلم أنّ البشر سواسية، وأن الأحمق والدنيء وحده من يحتقر الأفضل منه..

و أنا أحبّ رعي الغنم..وهذا عذرٌ رائع للأغنياء..

وصل إلى بيت خالد وطرق باب داره، فلم يفتح الباب أيّ شخص، واستمرّ الحال تقريبا ثلاث دقائق وهو يطرق تلك الباب التي كانت جميلة كصاحبها..لكن تذكّر ماثيو وقال:

- **آه..إنّه يصلّي بلا شكّ، لقد أذّن للتو، عليّ أن أنتظر قليلا إذن.**

بقيّ يشمّ بعض الهواء والنسيم النقي في ذلك الشارع الواسع الأخضر والمضيء ويتجوّل هنا وهناك، ويولول ويصفّر، حتّى لمح في طريق توجد بعد بيت خالد، طريق ترابية كانت، لمح فيها مرّة ثالثة أو رابعة ذلك الراعي صاحب الأغنام المصوّفة.. .
ماثيو في نفسه:

مهلا، مهلا..ألم تكن ناتانيا هي صاحبة الأغنام أهذه صدفة أم ماذا؟

إذن لماذا عندما غاب عن نظري هذا الراعي ظهرت ناتانيا بحصانها في قارة هيندوويسموس، ما هذه الحيرة؟ فناداه ماثيو يصرخ:

- **آي.. من انت هناك..، لماذا في كلّ مرة أذهب إليه أراك أمامي، هل تقول هذه مصادفة، أبدا ليس مصادفة، من أنت؟**

لم يجب الراعي بشيء وراح من الطريق الترابية بأغنامه في ذلك الليل هناك، ولحسن الحظّ يوجد بعض الضوء من تلك الجهة، يستنير بها الراعي الذي لا نعرفه.. أو ربّما نعرفه.

بعد هذه الحادثة الصغيرة التي ظنّها ماثيو انتهت ظهرت يدٌ على ظهر ماثيو أخافته وفزعته حتّى أنّه قفز من شدّة غفلته، فقال يضحك:

- **آه، خالد..أفزعتني يا صاح، كيف حالك؟ لم نلتقي منذ وقت .. هل عدت من صلاتك، انتهيتم؟**
- **ماثيو يا صديقي كيف حالتك؟ وكيف حالك مع الإسلام؟ ونعم انتهينا الآن يا ماثيو..، أتنتظرني أنا هنا؟**

فردّ ماثيو:

- **نعم أنتظرك..، فقط أريد أن آتي معكم وأستشير القليل عند شيخكم، هل توافق؟**
- **بالطبع غدا سآخذك معي، حضّر نفسك حوالي الساعة الثامنة صباحا. ونلتقي أمام المسجد السابق الذي أريتك إيّاه.**
- **حسنا، شكرا لك..**
- **لا شكر على واجب، أعلم أنّك ترتقي وستجد جوابك عن قريب، أكمل أكمل يا صديقي**

كان ماثيو ذاهبا لكن خالد استوقفه وقال له أن يأكل العشاء معه، فقبل ماثيو ذلك وفرح لكرم هذا الأهل الطيّب.

وبعد الانتهاء الكريم المشبع لماثيو والمكرم له شكره كثيرا وعاد إلى المنزل الذي استأجره فلم يجد ناتانيا هناك، كما أنّه أمرها أن لا تخرج إلى حين عودته لأنه لن يتأخر كثيرا، كما أنّ الليل كان قد حل..

انتظر تقريبا ربع الساعة في البيت وهو يفكّر أين عساها تذهب وحدها..

وهنا راودته بعض الأفكار والحيرة من جديد، وبدأ العرق يتصبب منه وأنفاسه تزداد والعين إلى مكان واحد ناظرة ومن ثمّ كان خارجا سيفتح الباب

وفجأة دخلت ناتانيا والتقيا عند الباب وصاح ماثيو بغضب:

- **أنت الراعي يا ناتانيا..لقد عرفت ذلك، تختفين من راعي إلى ناتانيا فوق حصان فجأة تنقذيني من النار، وتختفين الآن وتظهري لي أمام بيت خالد وأعود ولا أجدك..**
  لكن كيف تأتين بالأغنام نفسها؟
  آه وماذا عن ذلك الذي ساعدنا في المعبد البوذي؟
  عن ماذا أتحدّث أنا..آسف ناتانيا، تشوّهات كثيرة في عقلي ومغالطات.

فردّت ناتانيا متسائلة:

- **عن ماذا تتحدث ماثيو؟ ولماذا تصرخ، وتقول راعي.. وأنا هي الراعي من أين جاء هذا فجأة..؟ لقد رأيتني معك عندما جاء وساعدنا في المعبد البوذي..، هل نستشير طبيب، لا تبدو بخير.**

- أنا آسف..، فلقد رأيت ذلك الراعي مجددا
- هذه ليست صدفة، ألم تتوقع من يكون ربّما أو شيء ما..؟
- لا لم يراودني أيّ أحد..، حسنا، دعينا منه، أين كنت أنت؟
- آه، لقد ناداني صاحب البيت بأن أساعده في حمل سرير كان يحمله من الشارع إلى بيته لأنه لم يجد من يساعده، وكما تعلم هو صاحب البيت، يجب مساعدته كي يساعدنا..، وهو يسكن تحتنا كما تعلم.

- لا يهم..ما رأيك في جلسة شاي لنا..

ضحكت ناتانيا وقالت:

- بالطبع..سأحضّره.. .

* * * * *

في الجهة الأخرى..

كان هناك فتى في عمر السادسة عشر، إسمه " عبدالله "، يعيش في الجزائر، لا نعلم ما قضاه في هذا العمر السادسة عشر..

أحيانا يبدو راقيا.. وأحيانا متدنيا..وأحيانا مهموما..وأحيانا حزينا..

وأحيانا سعيدا..لكن الحياة هكذا.. فالحديد يكون حديدا جميلا..

فقط..إذا لم تلمسه الأمطار..فيصبح حديدا صدِأ..

من يعلم بقصّته..أو بحياته..

يقال إنّه غريب بعض الشيء..في تصرّفاته..

يضحك وحده..يتكلّم وحده..يحبّ الظّلام.. وقيل..
أنّه رأى نورا وسط الظلام..فلم يذهب إلى النور، بل بقي في الظلام..
من ذا الذي لا يريد النّور..
لكن مع الأيّام..
اكتشف ما سبب تعاسته..حزنه..متاهته..
لم يكن يصلّي..
لا يصلّي في وقت الصلاة..يعطي أعذارا لها..
فإنّ الحياة بلا صلاة أمرٌ لا يمكنني تخيّله..
اسمه " عبد الله "، هو مسلم بالطبع..

لكن هناك مقولة تقول..المظهر يخدع يا صديقي..
ليس ما تراه عيناك صحيح..جرّب أن ترى بقلبك..
فلو كانت القلوب أن ترى بعضها..
فوالله ما كان توجد الشكوك..الغضب..الكراهية المتواصلة..الألم..الحقد..
فلو أبصرت أنّه كان حزينا لأفرحته..
ولو أبصرت أنه كان محتاجا لساعدته..
ولو أبصرت أنّه كان يتألّم لخفّفت عنه..
فقط حاول أن تبصر بقلبك..

سافر الفتى " عبد الله " في أحد المرّات إلى السعودية حيث التقى هناك الشاب خالد أيضا والذي ساعده في معرفة المكان وأحوال الناس..وعرّفه أيضا بماثيو الشاب المسيحي الذي غالبا ما يقول.." الباحث مهنة، وليست كلمة.."

كان ماثيو في ذلك الوقت قد بدأ يذهب مع خالد عند الشيخ ابن باز للاستشارة والتعلّم، كما أنّ الشيخ بن باز سرّ به كثيرا عندما رآه يحاول الدخول للإسلام ومرّت الأيّام وإيمان ماثيو يزداد شيئا فشيئا وكذلك الحال مع فتاته ناتانيا التي كان قد دار بينهما حوار رومنسي فقال:

- **سأقول شيئا محرجا يا ناتانيا..لقد خجلت..**
- **ما هو..لا تخجل..**
- **هل..هل نتزوّج**
- **آه..لا يمكن هنا أيّها الغبي..**
- **حسنا، عندما نرجع إلى موطننا؟**
- **ربّما..**

وهكذا كانت علاقتهما تزداد مع مرور الوقت، علاقة حبّ..وعلاقة دين.

وكان " عبد الله " هناك فقط للتجوّل وكان عادة ما يلتقي بخالد وأحمد وماثيو و ناتانيا..فيعرف عنهم ويسمع عنهم ولم يكن يصاحبهم أو يصادقهم.

*** * * * ***

في أحد الأيّام كان ماثيو وخالد وأحمد عند الشيخ ابن باز، كان خالد وأحمد يتعلّمان ما يتعلّماه، وكان ماثيو كثير الأسئلة عن الدين وما يشمله، وكان الشيخ يجيبه بأجوبة جدّ مقنعة ومنطقية .
فأراد الثلاثة ان يبيتوا في فندق المدرسة الكبيرة، وفي الليل..
حيث كان الثلاثة يضحكون ويلهون وصوت أحمد الخشن الذي فيه بعض الحيرة يتعالى والكلّ يتحاور وخيوط الأمطار بدأت..كانت بشكل قليل جدا وريح قويّة

تضرب، فتحدث أصواتا على النافذة المغلقة والباب المفتوحة..
أراد الثلاثة النوم..فذهب الكلّ إلى سريره وهم على وشك النوم..
وبينما هم كذلك، أمر أحمد لخالد فقال له :

- أغلق باب الغرفة يا خالد.

فتكاسل خالد وقال له:

- انهض أنت يا أحمد وأغلقها.

في هذه اللحظة فقط مدّ أحمد يده بشكل غير مصدّق من المكان الذي هو نائم فيه وأحكم مقبض الباب وأغلقه..

أغلقه من المكان الذي هو نائم فيه فقط..

في هذه اللحظة نظرا ماثيو وخالد إلى بعضهما من هذه الحادثة التي حدثت الآن وعيونهما متسعة ومجعّدة جدا ..فسببت لهما أرقا تلك الليلة وما استطاعوا النوم.

في اليوم الثاني مباشرة عندما توجهوا عند الشيخ حكا خالد وماثيو قصّتهم عن أحمد التي حدثت البارحة ليلا في ذلك الجوّ المرعب، فقال الشيخ:

- **نادوا لي أحمد..**

حضر أحمد برفقة الاثنين وهو غير داري بما يحدث فقال بصوته الخشن قليلا:

- **هل ناديتني أيها الشيخ؟**

فأجاب الشيخ وسأله:

- **نعم ناديتك.. أخبرني بالله..هل أنت من الجنّ أو من الإنس؟**

ردّ أحمد:

- **بما أنّك سألتني بالله، فأنا فعليّا جنّي، وجئت في الحقيقة أطلب منك العلم لأنّ قومي من الجن في ظلال عظيم جدا وهدفي هو أن أرجع لهم وأفقههم في الدين.**

هنا في هذه اللحظات لم يصدّق ماثيو ما يحدث أمامه، وفقط أقول لكم أنّ إيمانه كاد يصل لذروته، وقال في نفسه " حتّى الجنّ يتعلّمون من الدين الإسلامي" وكانت لديه طريقته الأخرى التي سيصدّق منها، إنها تجربته التي بدأ عليها

من الفصل الأوّل.

مهلا مهلا لحظة..لقد تذكّرت أمر قول " الأعور" عندما قال يجب أن تحرق الوثائق والمعلومات التي أعطاني إيّاها وذلك قبل أن يأتي قوم الجنّ الضالّون ويتخلّصون منّي وربّما ان اكتشفوا ذلك فسيتخلّصون من قارئها أيضا.. استطعت أن أدمج المعلومات مع قصّة ماثيو الخيالية..ربّما سيكون أمل في عدم معرفتهم..

توجّه ماثيو إلى ناتانيا بسرعة بعد إكمال الحديث بينهم إلى البيت الذي استأجروه من الرجل الطيّب في أحد الشوارع وحكى لها القصّة كاملة كما أنّها كادت لا تصدّق ما يقوله لها، لكن صدّقته في النهاية وقال أنّ الرحلة انتهت يا ناتانيا..لقد آمنت بهذا الدّين، لقد عرفت منه كلّ شيء، ولا سيما الآن..جنٌّ يتعلّم على شيوخ الدين الإسلامي، صدّقت ناتانيا كلامه وكان تتبعه في أيّ أمر يفعله..والآن ستأمن معه بلا ريب، لقد كان يحكي لها أي شيء تعلّمه عن الدين في البيت وهذا ما ستكون عليه من بعد..

قال ماثيو:

- **بقيّ شيءٌ واحد لم أفعله..إنّها التجربة التي ستحسم أمري..**
- **ما هي؟**
- **ستفهمين ذلك لاحقا..**

الفصل الخامس

" التجربة الحاسمة "

كانت توجد قارة صغيرة جدا، يمكنك أن تقول ليست قارة..بل جزيرة تقع في وسط عالم ديبيتوم..أي تتوسط كل القارات ..يأتي إلى هذه القارة فئات ناس من كلّ ديانة من الإسلام والمسيحية واليهودية والهندوسية والبوذية، منهم من يأتي إليها للدعوة إلى دين معيّن ومنهم من يأتي للتجارة ومنهم من يأتي للتعرّف وهكذا كانت هذه الجزيرة.

أحضر ماثيو حقيبته الجلدية السوداء التي كانت فيها الكتب المقدّسة للديانات من قرآن كريم وإنجيل و توراة، وضع كلّا منهم على الطاولة وأحضر آلة الطباعة والكتابة، فبدأ بتحريف بعض الآيات من كلّ كتاب من

غير تنبيه، أي بعض الآيات التي لن ينتبه عليها المسيحيون أو المسلمون أو غيرهم من اليهود.

فبدأ بعمله هذا الذي قد خطّط له من الوهلة الأولى عندما قرّر السفر من قارته وأخذه من الكنيسة خفيةً وقال لناتانيا:

- **هل أدركت الآن لماذا كنت آخذ الكتب المقدّسة لكلّ ديانة عندما أزورها وأبحث فيها.**

أكمل ماثيو خطّته تلك وبدأ بطباعتها كأنّها كتب حقيقية غيرُ محرّفة وغير مألوفة وبل جعل خارجها من الكرطون الصلب قليلا، كي يجذب الناس و يأخذونه منه في تلك الجزيرة وطبعها بخطّ جميل من كلّ لغة، كما أنّه طبع القرآن الكريم باللغة العربية بخطّ باهي جدا..لكنّه أخطأ في هذا وهو لا يعلم أن تحريف القرآن الكريم هو كفرٌ وخروج من ملّة الإسلام.

أعدّت ناتانيا الفتاة اللعوبة والجميلة نفسها للذهاب مع ماثيو وقد كانت تحبّه وتأخذ معه أوقات جميلةٌ جدّاً وتغازله ويغازلها ويتعلّمان معا ويقرآن معا ويأكلان ويشربان معا ويضحكان ويلعبان وجمالهما الخلّاب يتواعد معهما وسفرهما الأخير الآن نحو الجزيرة الواقعة وسط كلّ القارات مع خطّتهما التي ستجلب لهما الصحيح قريبا..قريبا جدا.

وصل الباحثان إلى الجزيرة عبر قارب كبير جيّد وآمن سمح لهما بالوصول

في مدّة قصيرة قليلا بعدما ودّعا خالد وقالا له بأنّهما سيأخذان جولة في مدينة أخرى..أي لم يقولا له الحقيقة.

كانت قد مرّت ثلاثة أيّام على الوصول هناك، وتوجّه ماثيو وناتانيا إلى سوق يلتقي فيه النّاس مختلفو الديانات، وهو سوق للتجارة وسوق للكتب والرويات ضخم جدا..لقد ذكّرني بشارع المتنبّي في العراق..

وكان الناس هناك لا تخاف على سلعتها، فكما قالوا:

" بائع الكتب لا يخاف على سلعته..".

في هذا اليوم الذي كان يبدو خريفيا رغم أنّه فصل الشتاء..

كم هو جذّابٌ ذلك المشهد الأصفر الشهي، ورياح الشتاء الناعمة تهبّ من جنوب و شمال..، والأوراق التي كانت خضراء تتراقص في نسائم الليل العليل، باتت مستلقيةً على الأرض كعجوزٍ كبيرة أنهكها السفر فألقت بنفسها على سرير المرض تنتظر تابوت الموتى..والشابان الجميلان أحضروا طاولة بنّية متحرّكة وغيروا شكليهما فوضع ماثيو لباسا أسودا كلاسيكيا يذكّرك بلباس "الكوبوي" القديم ووضع قبّعة رمادية تشبه القبعة التي يرتديها الرسامين و أمّا عن ناتانيا فقد معطفا بنّيا لاءم ذلك الجوّ كثيرا..وزادها جمالا ولطافة ولبست حذاء الجزمات الفيكتوري البنّي أيضا ليليق أكثر مع المعطف الجيّد المساوي لها كثيرا.

كلّ هذا كان حيطة لهما..فهذا يعتبر عمل غير لائق بالأديان قليلا..

اتفقا الاثنان على أن يكون ماثيو هو الشخص الذي يبيع الكتب وأن تكون ناتانيا مجرّد شخص حارس من بعيد يقابل طاولة الكتب من بعد خطوات قليلة ..

فوضع على الطاولة ثلاثة كتب..على الجهة اليمنى الإنجيل وفي اليسرى التوراة ويتوسّطهم القرآن الكريم..

*** * * * ***

بعد مرور وقت طويل بدأ النّاس يلتفّون حول ماثيو، منهم المسلمون ومنهم المسيحيون ومنهم اليهوديّون الذي اندهشوا منه لامتلاكه كتاب التوراة، فهو لا يوجد إلاّ في معابدهم فقط

ولامتلاكه كتابا واحدا لكلّ دين فقد أخذهم ثلاثة رجال فقط..
أخذ مسيحيٌّ تاجرٌ يقنط في تلك الجزيرة عادة الإنجيل الذي سيرافقه إلى بيته ويقرأه بكلّ تأكيد، وكذلك اليهودي الذي ندرة ما يجد كتاب التوراة وهو يريد العودة بعد أسبوع سيقضيه هنا، أمّا عن المسلم فهو كان رجلا مصري كان ذلك اليوم هو آخر يوم سيعود من تلك الجزيرة الباهية..التي كانت تشبه " جرينلاند " كثيرا.

أخذ كل من الثلاثة الكتب المقدّسة لهم وفرغ ماثيو المكان هو وناتانيا وسعد بذلك لأنّه لم تحدث أيّ مشاكل..فسألت ناتانيا:

- **الآن ماذا سنفعل..؟**
- **سنبقى هنا لمدّة أسبوع كامل..لنرى ماذا سيحدث.**

مرّت الأيام يوما بعد يوم وكان ماثيو كلّ يوم في مكانه الذي باع فيه الكتب ينتظر شيئا ما، ولم يأت إليه أحدٌ يحدّثه عن الكتب المحرّفة، لا المسيحي ولا اليهودي ولا المسلم..

فبدأت تدور في رأسه أنّه لا فائدة مما يفعله..ومرّت الأيام وها هو اليوم الأخير من الأسبوع وبدأ نهار جديد..

توجّه ماثيو وفتاته كعادتهما إلى ذلك المكان بلباسهما الذي كان فيكتوريا نوعا ما وجميلا وباهيا، ولمّا وصلوا وجدوا جماعة كبيرة من المسلمين أمام طاولته الفارغة ينتظرون شخصا ما..

حيّاهم ماثيو بتحيّة وهو خائف قليلا وحرج ووجد ذلك الرجل المصري الذي باعه القرآن الكريم..فقال الرجل المسلم وتبدو عليه ملامح الجدّية و القلق:

- **ماذا فعلت بهذا الكتاب يا أخي..أتريد أن نعاقبك الآن، أم تريد رجال الشرطة.؟**

فردّ ماثيو حرجا متسائلا:

- **ماذا تقصد، لم أفهم..؟**
- **وجدنا هذا القرآن محرّفا وناقصا لبعض كلام الله وبعض الحروف والتشكيل حتّى أيضا اختلّ المعنى جذريا وكثيرا..**

سكت ماثيو ولم يجبه وبقي الرجل المسلم الذي كان في عمر الثلاثين، حسن الوجه جميل الصوت عذبا، والذي كان يؤدّب ماثيو بحديثه كثيرا وكان جدّيا مما أثّر على ماثيو كثيرا، وكانت ناتانيا تقابلهما وتسمع ما يقولانه وهي خائفة قليلا وتستعد لأيّ شيء قد يحدث..، وفي تلك اللحظة نهض من كرسي كان يجلسه وبدأ بتصفيق بارد ويبتسم، وقال في محيطه:

- **بعت ثلاثة كتب منذ أسبوع، " قرآن و توراة و إنجيل "..ورغم أنّ المسيحي يسكن هنا في هذه الجزيرة لم يأت إليّ أو شكّ في انحراف قليل لبعض الكلمات وكلّ يوم يسير نحوي وأنا هنا، كنت أراقبه كلّ يوم..وأنتظره يأتي..لكن لم يأتي أبدا..وكنت آمل أن تكون المسيحية ديني مثل عائلتي و أصدقائي وأحبائي هناك..لكن لا أظنّ ذلك، لقد استبعدتها من حياتي نهائيا..**

وأمّا اليهودي التاجر الذي أسبوعا كاملا وهو بجانبي يشغل في التجارة ويفتح كتابه ويقرأه وأنا أترقبه طول اليوم عساه يفيق من شيء ويأتي إلي..لكن لا جدوى مرّ أسبوع وهاهو اليوم يشدّ أمتعته وهو ذاهب..

والآن يأتي إليّ رجل مسلم مع أًصحابه من مصر بعدما كان هنا سابقا..
آه..أتعبتك قليلا أنا آسف
و شقّ طريقا طويلا من أجل أن يعود و يؤدّبني و يعاقبني وربّما سيأخذني مع أحد أصدقائه الشرطة إلى السجن أو لا أدري ما سيحدث..
لقد تعمّقت كثيرا في لغتكم العربية وغيّرت حروفا فقط و أشكالا لكم..فكيف استطعت التمييز..،أنتم حقا مسلمون، فقط اعلموا يا أخوتي إنّها فقط تجربة خطّطت لها منذ قديم الزمان وها هي حدثت الآن بعد أن بحثت في جميع الأديان من مواضعهم و معتقداتهم ولم أجد إلّا الإسلام هو الوحيد الذي فيه كلّ شيء لقد أذهلني..

حكى لهم ماثيو قصّته باختصار ونادى ناتانيا التي كانت تراقبه وتسمعه وقد تحرّكت مشاعرها كثيرا وقال:

- **ناتانيا..رفعت الجلسة، أعلن إسلامي.**

حقا تأثرت ناتانيا التي كانت تذرف بعض الدموع الهادئة من هذه الرحلة الشاقة لماثيو الذي قضى معها أكثر من عام كاملا وهو يخوض المغامرات والأحداث والبحوث المتراكمة ومشى الآن نحو الإسلام..

فهمت جماعة المسلمون قصّته وآنسوه وشجّعوه على الإسلام أكثر وذلك الرجل المصري اندهش من خطّته العبقرية وفرح به لأنه دخل الإسلام وأعطاه بعض النصائح القيّمة وتجنّب الإلحاد من الآن والتعرف على دينك أكثر و أقوال الرسول من أحاديث وغيرها وقال له:

- ومن أروع وأنسق ما تراه في الدين الإسلامي هو أنّه مقسّم إلى ثلاثة أقسام على غير عادة الديانات الأخرى التي تضع كلّ شيء في ذلك الكتاب فيختلط كلّ شيء، فمثلا في الإسلام ستجدُ أنّ كلام الله تعالى في كتابه " القرآن الكريم " وكلام النبي محمد صلى الله عليه وسلّم في كتاب خاص آخر وهو ما يسمّى بالسنّة، وستجد متونا وأشعارا عربية تتحدث عنه أو أحكامه أو شروطه أو الطريقة النطق، لكن يجب أن تجيد اللغة العربية..

الآن..هو أعلن إسلامه وترك أثرا كبيرا وراؤه وعاد مع ناتانيا إلى السعودية

أوّلا وحكى لخالد قصّته كاملة وإعلان إسلامهما هو وناتانيا التي تبعته رغم

أنّها لم تكن تريد ذلك في الأوّل لكنّ الله تعالى أرسلها لتنقذه من النار من البوذيين

فأكملت الرحلة معه وأسلمت معه وأدركت غفلتها وطلبا من خالد الشاب الطيّب

عن طريقة إسلامهما وإن كانت صعبة أو ما شابه ذلك، فأجابهما:

- ليس هناك طريقة أسهل من إسلامكما يا صديقي..
فقط قولوا " أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمدا رسول الله " وطوبى لكما الدخول إلى الإسلام.

تشهّد الباحث وأعلن إسلامه مع ناتانيا التي وضعت حجابا أجمل بكثير من السابق

وزادت جمالا وبهاء وتنوّرت وجوههما البيضاء وزاد نقاء قلبيهما

وماثيو يفكّر ويستعيد ذكريات التقائه مع العجوز الأبيض أوّل مرّة الذي كان سببا في إسلام ماثيو والانطلاق في رحلته، العجوز كان هو مفتاح الباب

طلب ماثيو من ناتانيا الزواج بعدما أصبحوا مسلمين وتعلّقوا بالمسلمين مع مرور الأيآم فقال:

- **سأتزوّجك يا ناتانيا..**

فردّت عليه بنبرات صوتية نرجسية:

- **لكن لماذا أنا بالذات..ماثيو**
- **لأنّك الوحيدة الذي رآني في الظّلام..**

وافقت ناتايا على ذلك الطلب بالتأكيد وأرادت أن لا يتزّوجا هنا، ويتزوّجا في إسبانيا..في قارة ماثيو مع أهله وأصحابه وكان حبّهما غير عادي يا رفاق.. يزداد كلهب يشتعل بالوقود..

وكان يفكّر بعد الزواج في أمر العجوز الأبيض الذي أعطاه الثغرات للوصول إلى الدين الحق وكلامه له بتوحيد القارات ومحاولتهما نشر الدين الصحيح..أي ينشران الإسلام على القارات الأخرى الغير مسلمة..هذا ما كان يقصده الشيخ بالطبع.. الإسلام دين الحق..

فرح ماثيو بهذا الحدث الأعظم الذي قدّمه لنفسه وحياته وحياة ناتانيا واستنارت سبله بعد معرفة الإسلام..وكذلك المسلمين الذين كثيرا ما ساعدوه..

كتب على خطاه طريقا طويلا..
كتب على قماش أسود بكلمات أخيرا اتضحت..
" هنيئا من فقد القلم الأسود ولقيَ الأبيض كي تتضح الكتابة"

كتب على الظّلام " شكرا ..كنت مفيدا لنا، لولاك ما وجدنا النّور"
كتب على النّور" هل شكرت الظلام "
كتب في الديانة المسيحية " ليس الإنسان بإله "
كتب في الديانة اليهودية " إن كان دينك مثل أمّك فأنت ضال "
كتب في الديانة الهندوسية " لا تحدّثني عن الدين كثيرا..دعني أراه في طباعك "
كتب في الديانة البوذية " عندما تتزوّج هناك ستنجب طفلا من أجل قطع رأسه "
كتب عن الإسلام " لم أرى النور إلّا وعرفتك "
كتب عن الإسلام " استعن بالله ولا تعجز "

كتب عن الإسلام " المسلم هنا مثل النحلة يأكل الطيب ويضع الطيب "

كتب عن الإسلام " لم أرى التاريخ إلّا فيك.."

كتب عن الإسلام " عادة ما أرى القمر في الليل..ومع الأيام بدأت أراه مرّتين كلّ يوم أراه في ناتانيا..والآن أنا لا أراهم بل أنا فوقه..شكرا أيها الإسلام أنت القمر..النور..الجمال..الكمال..الإخلاص..التسامح..الأخوة.. الراحة..الطمأنينة..السعادة..الوفاء..الخشوع..الضوء.. .

*** * * * ***

ولحسن حظّك أيّها القارئ أنّني لم أستعمل الوثائق والمعلومات التي أعطاني إيّاها ذلك الجنّي واستبدلتها بمعلومات لا تحدث لك هلعا أو قتلا أو موتا بشعا من طرفهم أو من طرف الكهنة والمشعوذين أو تحجّرا لأوراقك..، لا تخف أنت محظوظ أنني فكرت فيك يا صاحب قلب الأسود..

ويا صاحبة جناحي الفراشة..

دعنا من ذاك الآن وانظر جانبا إلى همسات الحبّ والغرام النقي هنا وإلى الجمال النرجسي فلقد قرر أصحاب الملامح الفيكتورية إقام حفل الزفاف أخيرا وذلك إقناعا

من ماثيو

فوافقت ناتانيا بعد إصرار كبير منه.

* * * * *

" أنا سأغيّر إسمي يا خالد إلى اسم عربي مسلم.."

- هذا قرار صائب و رائع يمكنك ذلك..

" إعطنِ بعض الأسماء العربية الإسلامية الجميلة وأنا سأختار"

بعد مدّة وجيزة قال ماثيو:

- كان إسمي ماثيو.. والأن إسمي " يوسف " .

هذه الفكرة أعجبت خالد ويوسف كثيرا فقررا أن يحضرا ناتانيا التي كانت في المنزل المستأجر فتغيّر اسمها أيضا..

توجها إلى المنزل خالد ويوسف الذي سيقام حفل زفافه غدا مع ناتانيا وهو مسرور بهذا العمل الباهي..

دخل المنزل فلم يجد ناتانيا هناك..فكيف هي غير موجودة هنا ووعدته أن تنتظره

ولن تخرج من المنزل..

انتظرا مدّة من الزمن فلم تأتي..وحيرة ماثيو الذي غيّر اسمه إلى يوسف تزداد حيرة بعد حيرة ، وقلقه الكامن المختبئ الذي لا يظهره يتطاول داخله

قضى خالد ويوسف يبحثان عن ناتانيا يوما كاملا..ولم تعد..

مالذي يحدث؟
أين هي؟
هل اختطفت؟

وفجأة نظر ماثيو في سماء الليل السوداء وقال بصوت حزين..:

- **أكانت تخدعني..؟هل هذا كلّه خدعة..؟**

فصرخ وقال:

- **ناتانيا...ناتانيا**

وخالد يحاول إسكاته وتهدئته عساها تعود بعد قليل أو غدا..

وهنا نهض ماثيو بسرعة وكأنه تذكّر شيئا ما..

" الراعي..نعم الراعي..الراعي يا خالد..أين هو؟ كنت ألقاه دائما..كان شخصا ما هل اختطفها ..؟ مالذي يحدث هنا ؟ لا بدّ أن يكون للراعي قصّة في هذا..
لقد اختطفها يا خالد..؟

فقال خالد محاولا تهدئته:

- **حسنا اهدأ، اهدأ، وهل هذا الراعي الذي سبق وحكيت لي عنه..هل بدأ بملاحقتك**

منذ التقيت بناتانيا عند الهندوس؟

- **صحيح..ربّما هو ليس من أجل ناتانيا..كان يتبعني من الرحلة الأولى لي..**

بدأت مغالطات وتشوّهات في عقل ماثيو وهو حائر لا يعلم ما يحدث حوله أو أين هي ناتانيا..لا يعلم إن كانت قد اختطفت..أو أنّها هربت بنفسها..

ومرّ الليل وخالد يطمئن المسكين الباكي الذي قنطت حياته بعد رحيل من يحب..فأسوء الراحلين: إنسان يرحل عنك، ولم يرحل منك..

الخاتمة

لا يملك المرء الآن سوى أن يتساءل:

ماذا حدث لناتانيا الفتاة الشابة التي أسلمت وكادت تتزوج ماثيو (يوسف)؟

لعلّها هربت من نفسها..كما أنّها لم تكن تتشوق للزواج في حديثي للرواية..

أو لعلّها اختطفت..ربّما من ذلك الراعي الذي لا نعرفه جميعا ..

و ربّما كلّ تساؤلاتك حول ذلك الراعي من هو..لديه أغنام مصوّفة كتلك التي عند ماثيو سابقا..

أو ربّما تتساؤل أيضا ما قصّة ذلك السوار الذي ظهر فجأة في الرواية.؟

وبئسا لماثيو لا يعرف قصة عائلة ناتانيا نهائيا..

الشيء الذي بدأ عليه ماثيو نجح وقد أسلم والحمد لله..لكن

هل عندما يعود سيجد ذلك العجوز حيّا أم ميّتا..؟

يقول يوسف:

إنّ كل خطوة مشيتها الآن باتت حسنة وأجرا من الله..وإنّ كل لحظة معرفة وسعي جديد يعتبر لحظة لقاء جديد..

فأقدم تجد..أو ابقى حيث انت.. ستجد أنت الذي هو أنت..

رغم ما حدث لي من لقاءات الشوك الصعبة إلّا أنني أنظر إليها الآن كجانب مشرق..لأنني كنت أعلم أنّ كل لحظة ستمر تشكّل جزءا مهما في الرحلة..

وعندما كنت أبحث عن الإسلام في رحلتي، التقيت في طريقي أشياء لم أكن أتوقها أبدا وأشخاصا يحيرون العقل والقلب لم أحلم بهم أبدا..

عزيزي القارئ..

مهما تعددت الأديان يبقى الإسلام دين كلّ شيء..هو دين الأديان

وهب الله تعالى للإنسان عقلا، فلماذا لا يستخدمه..أعلم أنّه لن يصل إلى الصواب دائما لكن بإمكانه تخفيف الخطأ..فيقترب منها..المسيحية متفرّعة واليهودية لها قانون أنّك لن تدخل في دينها حتّى تكون أمّك يهودية..ودعنا من الهنودوسية والبوذية..

حروفي تأبى التكلّم عنهم جدا..

نعم توجد أخطاء كثيرة لا يتقبّلها العقل البشري..يتقبّلها عقل الحيوانات أعلم..

هل للإسلام قوانين أو إنحرافات أو..أبدا، ستجد القشعريرة والنور والدليل والتاريخ والصواب وعدم الانحياز أو الانحراف..

غير الملحدين الذي يحاولون تبيين أنفسهم..لكن لا بأس قل لهم إفعلوا ما شئتم..دائما ستجدون الجواب بعد لحظات من إلحادكم..

و يا عزيزي القارئ..تبقى لك الأسئلة الأخرى التي ستعلمها ربّما في الجزء الثاني من الرواية..ربّما ستكون بعنوان ..،..أو ربّما لن تكون..

أمّا عن الفتى " عبد الله "..الذي كان في السعودية والذي حكينا عنه سابقا..

عاد إلى الجزائر..

توجّه إلى بيت فارغ..في مدينة أخرى..

فبدأ الكتابة..

كتب رواية..

سمّاها..

" رواية الباحث "